T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

ARAP DİLİ VE BELAGATİ BİLİM DALI

MUHAMMED MEHDÎ EL-CEVÂHİRÎ'NİN ŞİİRLERİNDE SİYASÎ TUTUM

Hazırlayan

Nashmil Omar SHAREEF

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman

Yrd. Doç. Dr. İbrahim USTA

BİNGÖL –2017

الجمهورية التركية

جامعة بينكول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية

السياسة في شعر محمد مهدي الجواهري

إعدادالطالبة / **نشميل عمر شريف**

رسالةُ ماجستر

بإشراف

د. ابراهيم أوسطه

بينكول - **2017**

الفهرس والمحتويات

الفهرس والمحتويات I
BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ IV
الـتّـعـهّـد V
توصية المشرف VI
قرار اللجنة بالتركيّةTez Kabul ve Onay Sayfası VII
المُقدِّمة VIII
ÖZET XI
ABSTRACT XII
الملخص XIII
المختصرات (Kısaltmalar) XIV
المدخل ١
بيئة الجواهري ونشأته الأدبية: ٥
بداية نبوغه الشعري: ٦
وفا ته: ٧
المطلب الأول: الأدب العربي قبل الحداث ٨
الشعر فن أدبي: ٨
أثر البيئة على الحياة الأدبية: ٩
أثر السياسة فـي الحياة الأدبية: ١٠
أثر الحياة الإجتماعية في الشعر: ١١
أهم مميزات الأدب والثقافة لفترة ماقبل الحداثة: ١٢
تطورات الأخيرة: ١٣
عصر الإنحصار: ١٣
المطلب الثاني: عهد النهضة وعواملها ١٥
بداية الشعر الحديث: ١٥
اسباب النهضة العربية: ١٦
ملامح التغيير: ١٩
النهضة: ٢٠
حركة التطور الى الأسلوب الجديد للشعر: ٢٠
المطلب الاول: شعر العراقي و مرحلة الانتقال ٢٢
الآدب العراقي قبل نهضة: ٢٢

وضع العراق الاجتماعى والاداري: ٢٣
الشعروموضوعاته: ٢٤
الحركة القومية والشعر قبل الحرب العالمية الثانية: ٢٨
الشعرالعراقي قبل اعلان الدستور العثماني: ٢٩
المطلب الثاني: مظاهر الحداثة في الشعر العراقي ٣٢
بواكبر التجديد في الشعر العربي الحديث: ٣٢
التراث والمعاصرة: ٣٤
الشعر العراقي والكلاسيكية الجديدة: ٣٦
محمد الجواهري والكلاسيكية الجديدة: ٣٦
مخيلة شاعر القرن: ٣٨
في الشعر: ٣٨
المطلب الأول: ثيمات الأدب في عهد الجواهري ٣٩
الشعر الرسمي: ٣٩
الشعر السياسي: ٤٠
الحالة السياسية في العراق: ٤٠
٢. تحدي الموت: ٤٢
٣. تحدى الزمن أوالدهر: ٤٣
المطلب الثاني: شعر السجون ٤٤
توطئه: شعر السجون: ٤٤
القضية الاجتماعية: ٤٥
التحريض السياسي: ٤٦
ظهور الاحزاب السياسية: ٤٦
المطلب الأول: شاعرية الجواهري ٤٨
تمهيد: ٤٨
شعر الجواهري: ٤٨
الجواهرى والمرأة في شعره: ٥٠
ماذا قالوا عن شاعرية الجواهري: ٥٢
الجواهري والحداثة: ٥٣
أهم شاعركلاسيكي في القرن العشرين: ٥٥
المطلب الثاني: أغراض شعر الجواهري ٥٨
الجواهرى والشعرية: ٥٨
الفصل الثالث: التطبيقات ٦٧
التطبيقات: ٦٧
١- تمجيد البطولات: ٦٨
٢- استنهاض الهمم: ٦٩

٣- التحريض على الصمود والتحدي: ٧٠
٤- الاشارة بالأنتفاضات الشعبية: ٧٠
٥- الرد على المشائين: ٧٢
٦- الدفاع عن الحرية وحق المساواة: ٧٤
ظهور الجمعية والأحزاب السياسة وما تتخضت عنه: ٧٩
الجواهري يرفض النظام حينذاك: ٨٢
العمق الأنساني والقومي في شعر الجواهري: ٨٦
الحس القومي في شعر الجواهري: ٨٧
الجواهري والأنظمة العربية: ٨٩
نقد الجواهري للسياسة العربية: ٩٠
قضية فلسطين في شعر الجواهري: ٩١
الدم في شعر الجواهري: ٩٣
مقارعة الجواهري للحكام والمستعمرين: ٩٥
الخاتمة ٩٨
المصادر والمراجع ٩٩
ÖZGEÇMİŞ ١٠٤
السيرة الذاتية ١٠٤

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım *[**Muhammed Mehdî el-Cevâhirî'nin Şiirlerinde Siyasî Tutum**]* adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

İmza

/ / **2017**

NASHMIL OMAR SHAREEF

الـتّــعـهّـد

أتعهّد بأنّ هذه الرسالة رأت النور بجهدي وكتبتُها بنفسي، بعد عون الله تعالى وقوته، ثمّ بمساعدة السيد المشرف، الدكتور (ابراهيم أوسطه)، في جامعة بينكول، بتركيا، ، ولم أسرق من أية رسالة أخرى، وما أخذت من المصادر والمراجع أشرت اليها، ولم أتقدّم بهذه الرسالة الى أية جهة رسمية معترف بها لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في اقليم كوردستان، ولم أحصل بها على أية شهادة معترف بها في أقليم كوردستان.

الباحثة

نشميل عمر شريف

توصية المشرف

أشـهد أنّ إعـداد هـذا البحث، المَوسُوم (السياسة في شعر الجواهري)، جَـرَى تَحـتَ إشرَافِنَا على صيغتها الحالية، وَهِي جُزءٌ مِن مُتَطَلَّبَاتِ دَرَجَةِ المَاجِستِير فِي اللّغَة العربية.

وبناءً على التوصيّات المتوافرة أُرشِّح هذا البحث للمناقشة والتقييم.

المشرف

الدكتور ابراهيم أوسطه

التوقيع:

التاريخ:

Tez Kabul ve Onay Sayfası قرار اللجنة بالتركيّة

المُقدِّمة

يمكن القول بأن الجواهري كان من أبرزشعراء الحداثة في العراق لقد خاض غمار احداث قرن صعب ومعقد، بدأ الشاعر الجواهري بالقريض وهو في سن مبكر، فاشتهر وملك الدنيا وهو لايزال في ريعان شبابه، شبه بشعراء افذاذ امثال النابغة في العصر الجاهلي، وبشار في العصر العباسي واامير الشعراء شوقي، وحاز على القاب أوسمة أدبية قلّما حصلت وتحصل لشاعر عربي، والحق بان الاحاطة بمكانة شاعرمثل الشاعر (الجواهري) صعب جداً فان القاء الضوء غلى مجمل اشعاره الذي انشده ما يقارب عشرين الف بيت خلال عمره المديد، لقد حمل الجواهري في شعره هموم ابناء شعبه وهموم وطنه المحتل وقد عايش الجواهري هذه الهموم بروحه وجسده، ودفع من اجل ذلك أثماناً باهضة، كان الشاعر الجواهري ذو خيال واسع، عنيد، لايقبل الخضوع، طموح الى اقصى حد، عاشق المجد، لايستوعبه مجال وزمان.

اخترت هذا الموضوع لحبّي الشديد لهذا الشاعر العظيم واعجابي الشديد بشعره، لاسيما كان شعره مرآة للواقع العراقي، وكان الجواهري له نظرة المساواة بين الشعوب القاطنة في العراق، فله شعر يناشد الشعب الكردي البيت الاول من هذه القصيدة:

شعب يشده الجماجم والدم تتحطم الدنياة لا يتحطم

أما نطاق البحث، فهو عبارة عن ثلاثة فصول الفصل الأول بعنوان (تطور الأدب العربي وملامح الحداثة فيه) قسمت هذا الفصل الى مبحثين، المبحث الأول بعنوان (لمحة تأريخية عن الأدب العربي) وقسمت هذا المبحث الى مطلبين، اما المبحث الثاني بعنوان (الادب العراقي في العصر الحديث)، وقسمتُ هذا المبحث كذلك الى مطلبين.

اما الفصل الثاني فعنوانه (الجواهري بين الشعر والسياسة) فقسمته كذلك الى مبحثين المبحث الأول بعنوان (الواقع السياسي في عهد الجواهري، اما المبحث الثاني عنوانه (الجواهري بين الشعر والسياسة) قسمتُ هذا المبحث الى مطلبين، اما الفصل الثالث: بعنوان (التطبيق) وكذلك تعرض نماذج من الشعر السياسي في مختلف الميادين. اما أهم المصادر المعتمدة فهي (مذكرات لمحمد مهدي الجواهري) (شعراء عراقيون لمنذر الجبوري) و(تاريخ الأدب العربي الحديث د.جميل سعيد)

و (شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر تاليف (د. سالم المعرش) ومصادر ومراجع اخرى فضلاً عن الدوريات والمواقع الالكترونية.

أكملت بحثي هذا راجياً القبول واعتذر عن الأخطاء الواردة معترفاً بوجود النواقص لأن الكمال لله فقط وشكراً للمشرف المحترم وللمناقشين المحترمين والشكر قبل كل شيء لله العلي القدير.

أهداف البحث:

١. يهدف البحث الى تعريف الجواهري كشاعر معروف لدى كل، من له حب للأدب و الشعر.
٢. ذكر و بيان أهم الاغراض التي تناولها الشاعر في حياته الادبية والتي تتنوع وهذا دليل على شاعرية الجواهري.
٣. ان هذه الدراسة كسجل تأريخي يروى اكثر الاحداث التي حصلت في عهد الجواهري.
٤. تعريف الادب في عهد الجواهري و ما قبله، وأهم سمات الادب و أهم التحولات التي حصلت للأدب.
٥. اظهار اهم الاغراض التي كانت سائده في عهد الجواهري و الاغراض المستحدثه على يد الجواهري.

مشكلة البحث:

أهم المشاكل والمعقوات التي صادفني صعوبة الإتصال بحضرة المشرف على بحثي هذا وكذلك قلة المصادر التي يمكن الحصول عليها، وكذلك الظروف الاقتصادية والأمنية والسياسة في اقليم كوردستان، وكما تعلمون حضارتكم بأن لغتنا لغة كردية والمصادر باللغة العربية محدود. ومع ذلك استطعنا تجاوز هذه العقبات لإنجاز البحث بعد الشكر لله أشكر المشرف على بحثي وكل المتعاونين معي واعتذر من استاذتي المناقشين للأخطاء الواردة فيها.

الدراسات السابقة:

لم أجد ما أستطيع أن أتوكل عليها من البحوث الأكاديمية لكتابة بحثي هذا وإن كان هناك دراسات مستفيظة حول الجواهري وشعره، وشذرات من الحديث عن الشعر السياسي للجواهري

ولكن عنواني هذا الموسوم (السياسة في شعر الجواهري) كانت غير موجودة لدى مطالعاتي وبحثي عنها في المكتبات المتوفرة لدينا ولهذا اخترتُ هذا الموضوع لبحث حديث يتناول أهم الأحداث السياسة التي حلت بالعراق والبلدان العربية الاخرى وأهم الحوادث التي حصلت في عهد الجواهري وتأثيرها على حياته الاعتيادية والسياسة والأدبية.

منهجية البحث:

المنهج هو الاسلوب والطريق المؤدي لمعرفة الحقائق أو الغرض المطلوب، كذلك نطلق عليه الوسيلة المؤدية لااكتشاف الحقائق و المعرفة العلمية.اما اختيارنا للمنهج التأريخي لان موضوعنا يناسب مع مثل هذه المناهج الدراسيه باعتبار ان الحوادث تسجل لنا ما حصل و ماجرى ايام زمن الجواهري و المنهج الوصفي لان الاحداث نسيج ينطب المهارة في وصف يناسب تلك الاحداث.

الباحثة

نشميل عمر شريف

ÖZET

Toplumların düşünce yapısının şekillenmesinde şiirin ve şairlerin önemli bir rolü vardır. Özellikle Arap toplumu gibi şairlere eskiden beri değer atfetmiş toplumlarda bu etki daha bariz şekilde görülür. Yaşadığı toplumun zihin dünyasının siyasî olarak şekillenmesine katkıda bulunan şairlerden biri de Irak toplumunun siyasî düşüncesinde önemli bir yere sahip olan Muhammed Mehdî el-Cevâhirî'dir. Tüm Arap dünyasında önemli bir şahsiyet olmakla birlikte özellikle Irak bölgesinde zulme ve diktaya karşı koymakla halkın gönlünde önemli bir yer edinen el-Cevâhirî, menfaatlerine dokunduğu zalim yöneticilerin öfkesini üzerine çekmiştir. Hayatının çocukluk safhası dâhil tüm aşamaları yokluk, gurbet ve hapislerde geçmiştir.

Genel anlamda Arap toplumu özelde de Irak halkı için zorba yönetimlere başkaldırının simgesi olan el-Cevâhirî nin anlaşılması ve Arap toplumunda siyasî fikrin oluşumundaki etkisinin ortaya konması önem arz etmektedir. Bu öneme binaen çalışmamızda söz konusu şairin siyasî yönünü şiirleri aracılığıyla ortaya kıymayı amaçladık.

Çalışmamız giriş ve üç bölümden oluşmaktadır. Giriş kısmında el-cevâhirî nin hayatı, edebî kişiliği ve yetiştiği edebî çevre ele alınmıştır. Birinci kısımda arap edebiyatının gelişimi, modernleşme süreci ve edebî bir sanat olarak şiirin gelişimi hakkında bilgi verilmiş, siyâset mekanizması ile şiirin etkileşimi üzerinde durulmuştur. İkinci bölümde el-cevâhirî nin siyasî ve şairlik kimliği, şiirlerinin çeşitleri ve ırakta siyasî ve toplumsal durum irdelenmiştir. Üçüncü bölümde ise şairin şiirlerinde siyasî başkaldırısını ortaya koyan örnekler ele alınarak tahlil edilmiştir. Sonuç kısmında ise elde edilen yeni bulgulara yer verilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Muhammed Mehdî el-Cevâhirî, Şiir, Siyaset

ABSTRACT

This paper is about an important figure in the Arab world in general and in Iraq in particular. The topic of the paper is a literary topic whilst it is also a political and social one. The researcher chose the works of an Iraqi poet whose name will stay forever in the book of immortality. This poet is the great al-Jawahiry.

Jawahiry is an Iraqi Arab poet who had lived a very vulnerable life. He spent his childhood and youth in hopelessness, distress and discomfort. He experienced so much difficulties and sufferings of life in prison. Moreover, his elderly life was also unusual since he spent it in exile and being far away from his own country and his own people and family. Furthermore, his death was also in exile and his dead body was not buried in his home country.

Even though Jawahiry died and left this world physically, but he is still alive and stays in the memory of the freedom fighters and his followers/fans forever. He left the inheritance of about ٢٠٠٠٠ lines of poetry which is a real literary wealth.

Jawahiry, with his poetry, always attacked the dictators and the unjust authority that is besides conveying the rights and demands of the poor and vulnerable people to the whole world.

In this paper, the researcher has attempted to shed light on Jawahiry's life from childhood up to his death; that is side by side with exposing the status of Jawahiry in Arabic literature. His political poetry is the main domain in this paper that is discussed and analyzed which really had influence on the people.

Indeed, Jawahiry has lived his life with dignity, nobility and self - respect and also died as a freedom fighter and the symbol of strive, hard trial and humanity.

Keywords: Muhammad Mahdi al-Jawahiry, Poem, Politic.

الملخص

تناولنا في هذا البحث موضوعاَ يهمُّ العرب بشكل عام والعراق بشكل خاص، والموضوع أدبيٌّ ولكنه في نفس الوقت اجتماعيُّ وسياسيٌّ، واستشهدنا لكلٍّ ذلك بشعر سُجِّلَ التاريخ له البقاء الى أبد الآبدين، وهذا الشاعر العظيم هو الجواهري، الشاعر العراقي الذى أمضى معظم حياته في اليأس والحرمان ولم ينعم في طفولته بحياة ناعمة كبقية الأطفال الذين كتب الله لهم حياةً سعيدةً ، كما أمضى حياةَ شبابه كذلك في السجون والفرار والخشونة، أما شيخوخته فكذلك أمضاها في الغربة بعيداً عن الأهل والأحبة حتى موته كان في الغربة ، إنَّ الجواهري مات جسداً ولكنه حيٌّ بنضالهِ وبشعره، فهو يعيش بين محبيه دائما، لقد ترك تراثاً ضخماً من الشعر والذي يصل إلى عشرين ألف بيت، فيها أرعب الطغاة والجبابرة وحمل هموم الجماهير و البؤساء والمحرومين. لقد ألقينا الضَّوءَ على حياة هذا الشاعر العظيم منذ طفولتهِ إلى وفاته وتناولنا موضوعات شعره ولاسيما شعره السياسي، الذي أثار أحاسيس أُمته، عاش الجواهريُّ مناضلاً إنسانياً ومات مناضلاً حقيقياً.

الكلمات المفتاحية : محمد مهدي الجواهري ـ الشعر ـ السياسة.

المختصرات (Kısaltmalar)

د. ط: الكتاب بدون طبعة

ط : طبعة

ص : الصفحة

م : السنة الميلادية

هـ : السنة الهجرية

ت : سنة الوفاة

ج : الجزء

تح : تحقيق

د.ت : دون تأريخ

د.م : دون مكان

تر : ترجمة

المدخل

حياة الشاعر في سطور:

اسمه: محمد مهدي عبدالحسن بن الشيخ عبد علي الجواهري [١].

ـ مولده: بالنسبة الى مولد الشاعر هناك روايات عدة منها:

ـ إنه ولد عام١٩٠٣م ، وقيل ١٩٠١م ، وقال آخرولد في النجف في ١٨ربيع الثاني عام ١٣١٨م مهجرية ،١٩٠٠م.

وتطلب إليه عام ١٩٧٢م مجلة أن يكتب لها عن نفسه بقلمه فقال ، أنا محمد مهدي الجواهري ، في الثانية و السبعين من عمري ففي بيت صغير من بيوت النجف الأشرف ولدت عام ١٩٠٠م ، وتقول له بعد ذلك انك ولدت عام ١٩٠٠م فينكر، مازجًا الهزل بالجد كعادته ، اذا جرى الحديث عن الاعمار، وتذكره بالمجلة فلا يعترف ويبستم ويقول: إنك إذا حاسبت على المسجلات فها هو ذا جواز سفري وهذا ميلادي فيه ١٩٠٧م يقولها متمنياً أن يكون هذا التاريخ صحيحاً ثم ما قيمة العمر في الدلالة على الحياة [٢] وروى عام الدكتور علي جواد الطاهر انه ((ولد يوم الأ ربعاء السادس والعشرين من تموز سنة ١٨٩٩م)). [٣]

ولد شاعرنا كما يعرف اغلب الناس في مدينة النجف الاشرف في يوم ٢٦ تموز١٨٩٩م. [٤]

ومن المعروف عنه أنه كان يمازح كثيراً حول عام مولده معتمداً على حيويته وعشقه الدائم للحياة ، فإنْ حاسبته بما ورد في شعره من أرقام أنكر أن تكون لهذه الأرقام دلالة علمية واذا سألته عن تاريخ ميلاده يجيبك: ((ولدت عام ١٩٠٣م ، وقيل ١٩٠٢م ، وقيل ١٩٠٣م ، والأول هو الأصح)). [٥]

---

(١) اليحيى، فرحان، أزمة المواطنة في شعر الجواهري، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م. ص٥٣-٥٦.

(٢) الطاهر، علي جواد، الأعمال الشعرية الكاملة للجواهري، دارالحرية الطباعة والنشر بغداد، بغداد، ط٢، ٢٠٠١م. ص١١-١٢.

(٣) بهاءالدين، جعفر، الإلتزام في شعرمحمد مهدي الجواهري، علي أكبر مراديان، دارالعربي بيروت، بيروت، ط١، ٢٠١١م. ص١٤.

(٤) الأعرجي، محمد حسين، الجواهري دراسة و وثائق، دارالمدى للثقافة والنشرسورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م. ص١٧.

(٥) اليحيى، المصدر نفسه، ص٥٣.

أما الأديب عبد الكريم الديجلي فهو صهر الشاعر وصديقه فقال: (ولد محمد مهدي الجواهري في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ١٣٠٨ هـ الموافق لسنة ١٩٠٠م أو كما يحلوله أن تكون ١٩٠٣م. [٦]

وفي كتاب الشيخ محمد جعفر محبوبة وهو صادق وثقة وكتابه قيم يطمئن إليه الباحثون كما يزكيّه الجواهري نفسه في الاستدلال على ومما شجّع الجواهري على الاستمرار في التأييد جهله الفرق بين التقويم الهجري والميلادي ، وتصوره: إن هذا التاريخ يرقي إلى ما بعد١٩٠٠م.
وينتهي الأستاذ خالد بكتاش الى بيت من شعر الجواهري يقربه من هذا التاريخ فلم لا يكون قد ولد الشاعر نفسه ؟ أن يسمح للشاعر كثيراً الدفاع عن نفسه لضرورة الوزن الشعري فقد قال في سنة عام ١٣٤٢هـ، ١٩٢٤ م:

وَذَّاعت شُهرتي في كُلّ بيتِ ومَا جَاوزتُ خمساً وعشرينا [٧]

وهذا يعني إن الشاعر ولد عام ١٨٩٩م حسب تحليل مضمون البيت الشعري. ومما يروى عن الشاعر أنه حين سُئل عام ١٩٧٨م حيث كان ضمن جماعة فقد تظاهر انه لم يسمع السؤال وحين كرر الؤال عليه تولّى أكبر أبنائه فرات الاجابة: (يتذ كر مسنّو العائلة أن الجواهري ولد في نهاية القرن الماضي (١٨٩٨م-١٨٩٧م) ومعنى ذللك أنه يقترب من الثمانين ولم يدع الجواهري ابنه يتابع الحديث ، فصرخ في وجهه بغضب ((انجب)) أي اسكت..انت اكبر مني) [٨]
وكثيراً ما يتردد في قصائد الجواهري عمره الزمني ولكن مجسرة وندم كقوله في قصيدة (يا دجلة الخير) عام ١٩٦٢م:

قد مت سبعين موتاًبعد يومكما ياذل من يشتري موتاً بسبعين

ولد مع مولد القرن العشرين مسقط رأسه مدينة النجف التاريخية والمركز العالمي للثقافة العربية الإسلامية [٩].

(٦) الدجيلي، عبد الكريم، الجواهري شاعر العربية، مجلة الأداب، بغداد، ج١، ١٩٧٢م. ص٥.
(٧) الجواهري، محمد مهدي، ديوانه (بين الشعروالعاطفة) ، مطبعة النجف، النجف، ١٩٢٨م. ص١٣٩.
(٨) شعبان، عبد الحسين، الجواهري جدل الشعر والحياة، دار الأدب بيروت، بيروت، ٢٠٠٩م. ص٣٥.
(٩) العلوي، حسن، الجواهري، قصائد قادمة من حضارة الكوفة، نقلا عن الجواهري، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٦م. ص٩٩.

وقال الجواهري عن تاريخ مولده: ولدت مع مولد هذا القرن المضطرب [١٠] وهناك روايات اخرى بخصوص ولادته ، فقد سئل الجواهري عن ذلك قال انه ولد عام ١٩٠٣م والاخرون يقولون أنه ولد عام ١٩٠٠م وهناك رأي لبعض اصدقائه من قراءاتي للجواهري ومن خلال سماعي اظن أن مولود عام ١٨٩٩م وانه عاش قرناً كاملاً بحساب العام الهجري فأنه ولد عام ١٨٩٩م وهذا ماقاله أحد مؤرخي ولادته وكما جاء في إحدى أبيات سيمفونية وهو الراجح لدينا.

نسبه:

ينسب الجواهري إلى أسرة عربية عريقة عرفت بآل الجواهري وقد ورث هذا اللقب عن جد قريب له يدعى ((الشيخ محمد حسن)) أحد أعلام الفقة في عصره. وقد اشتهر بكتابه القيم ((جواهر الكلام في شرح شرائع الأسلام)) وهو من المراجع الأساسية لطالب العلوم الإسلامية في القرن الثالث عشر الهجري إذ لا يرشح الطالب لنيل درجة الإجتهاد ما لم يدرسها كما يعد هذا المؤَلَّف مرجعاً من مراجع الفقه في تنظيم القضاء ونظام الأسرة في العهد الملكي في العراق [١١]. وذاعت شهرة هذا الكتاب حتى لقب به صاحبه ، فكان الشيخ صاحب الجواهر ومع مرور الزمن وكثرة التداول حذف المضاف وألحقت ياء النسبة ليسمي الواحد من أحفاده ب (الجواهري). (وارتبط أسم أسرتنا بجدنا الفقيه الشيخ محمد حسن النجفي) المولد هو وسبعة من آبائه والمسمي باسم موسوعته الفقهية [١٢].

وفي هذاالسياق يوضح د.محمد حسين الأعرجي فيقول عن هذا التقليد قائلاً: (تكاد مدينة النجف تكون بدعة المدن العراقية في كل شيء، فقد سنت تقليداً حضارياً إذ سمّت الأسر بأسماء أحد كتاب اجدادها، فهذا بيت كاشف الغطاء نسبة الى كتاب جدهم ((الشيخ محمد حسن)) وهناك بيت بحر العلوم، وعشرات سواها ،ثم يستدرك فيقول: (إن بيتنا كان يدعي بيت صاحب المحصول نسبة إلى كتاب جدنا السيد ((محمد الأعرجي)) ((المحصول في علم الاصول)) ، ثم انحسر هذا اللقب عنا ، حتى ان الوافد الى النجف، آنذاك، طلباً للعلم كان يتبع هذا التقليد. فالفقيه الشيخ (آغا بزرك الطهراني) قد نسي كنيته ولقبه منذ ألف موسوعته الممتازة ((في تصنيف علماء الشيعة)) فصار الذريعة وصار أهل بيته يسمون بيت صاحب الذريعة [١٣]

---

(١٠) الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، دارالرافدين للطباعة والنشروالتوزيع، ج١، ط١، دمشق، ١٩٨٨م. ص٣٩.

(١١) باقر، محمد حسن، مرجع الشيعة في عصره، ط٢١، بيروت، ١٩٧٣م. ص٢٠٦.

(١٢) العلوي، المصدرنفسه، ص٤٦.

(١٣) الأعرجي، محمد حسن، النجف مدينة العلم، مقال مجلة المدى العدد ١٩٩٩\٢\٢٤.

ذات سمعة طيبة ، في العالمين العربي والاسلامي ، تضع العلم والتراث ومكارم الأخلاق في المكان الأول [١٤] وبالإضافة إلى ذلك فأنه قد تحدّر عن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر اكتسبت شهرتها من باني مجدها العلمي الشيخ محمد حسن صاحب كتاب ((جواهر الكلام)) وكان لهذه الأسرة كما لباقي الأسر الكبيرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية [١٥].

ويقول الجواهري: كان والدي شيخاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وعلى خلاف من أبيه عب، درس على أيدي علماء عصره ، واجتاز اعلى الحلقات في الفقه وأصول الدين ،حتى حقق مكانة ، وليس ثمة من ارخ في النجف وبيوتها من لم يات على ذكره [١٦].

ويستطرد الجواهري فيقول: فقد ارتبط أسم أسرتنا بجدنا الفقيه الكبير (الشيخ محمد الحسن) النجفي المولد وستة أوسبعة من آبائه المسمى باسم موسوعته الفقهية (جواهر الكلام في شرح الإسلام) [١٧].

اما الاستاذ حسن العلوي فيقول عن نسبه: إن عائلته تنتسب إلى كتاب ، والكتاب موسوعة الدراسات الفقهية الاستدلالية الكاملة، وضعه مؤسس الأسرة مطلع القرن الثالث الهجري الشيخ (محمد الحسن) المرجع الديني الأعلى للإمامية في العالم حفيد الشيخ عبد الرحيم ، المعروف في تراجم المشاهير بالشريف الكبير ، وليس لطلاب العلم ودارسي الفقه ألاَّ يقرأوا (جواهر الكلام) قبل ان يرشحوا لنيل الدرجة العلمية تسلسل الاجتهاد، وقد سمي الشيخ محمد حسن بصاحب الجواهر وحذف المضاف بمرور الزمن والحقت ياء النسبة ليسمى الواحد من أُحفاده بالجواهري.

وكانت الاسرة الجواهرية وفيّة لهذا النسب ، فلم يخل جيل من علم جواهري او زعيم روحي جواهري ، حتى تزاحمت الأسماء في فترة من تطور النجف العلمي بمشاهير الحجج والأعلام والزعماء الدينيين من آل الجواهري.الشيخ باقر والشيخ حسن، والشيخ حميد والشيخ

---

(١٤) الخير، هانى، شاعر الكلاسيكية الفخمة، محمد مهدي الجواهري، دارالمؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م. ص٧.

(١٥) الطاهر، المصدر نفسه. ص٦.

(١٦) الجواهري، المصدر نفسه. ص٤٤.

(١٧) الجواهري، المصدر نفسه. ص ٤٥.

عبدعلي جد الشاعر الجواهري لأبيه ثم انتهت الزعامة الدينية مرة أخرى الى الشيخ باقر الجواهري [١٨].

بيئة الجواهري ونشأته الأدبية:

الجواهري نشأ في بيئة محافظة ، وتربى في حضانة أمه ورعاية والده كما لقي عناية خاصة من خادمة الأسرة (تفاحة) وكان أشد ما يعانيه في طفولته سلطة البيت اذ قال: (لقد نشأت ووجدت أمامي عقدة تحكم البيت) [١٩]. فاذا كانت الوالدة والخادمة تبالغان في الحب والدلال للجواهري ، فان الوالد لا يريد أن يفتح الباب على مصراعيه لان اساليب التنشئة تختلف بين الرجل والمرأة ،فمن شدة حرص الأب على ابنه كان يقسو عليه ، وأحياناً يندفع الى حمايته من أخوته حباً وإيثاراً لأنه يرى علامات النباهة والذكاء بادية عليه.

فيطمع أن يصبح عالماً مثله ، ولم يعلم أنه خلق لأمر غير هذا وأن هذا الاسلوب التربوي قد ولّد عند الطفل تناقضاً أثر عليه في مراحل الشباب والشيخوخة والهرم فقد ذهب فريق من الباحثين إلى أن الأسرة هي المجال الحيوي الذي تتشكل فيه شخصية الإنسان ، إذا أن اسلوب القمع والإكراه يكرس مظاهر الاغتراب لدى الشخصية والتى تتمثل في منظومة من عقد النقص كالاحباط والاهمال والتمرد واسواها [٢٠].

ويقول الدكتور على جواد الطاهر عن الجواهري ((ففي السنوات الأولى عاش مهدي في جو هادىء ، فأمه تحنو عليه وخادمة البيت تلاطفه وتؤانسه وتقص عليه الحكايات المسلية وتروي له الأساطير المستمدة من واقع العبيد المر، وهي واحدة منهم حيث ترى نفسها غريبة مسلوبة ، فتتذكر كيف يباع العبيد ويشترون وكيف يفارق الأطفال منهم آباءهم وآمهاتهم فتشعر بالتمزق وتمتزج الحكايات بالدموع ويصعب أن يمر هذا دون ان يترك من الرقة والتعاطف))

وربما الأسى والحزن في نفس مهدي وقد شكل عنده راسباً واجتماعياً فيما بعد ، ثم تحول الى مواقف حادة من التناقضات الاجتماعية. وفي هذه الاثناء اصيب مهدي بمرض الجدري ، كما تعرض لكسر في يده اجبر خطأ وترك تشوهاً واضحاً ، ثم سقط في حوض ماء عميق كان يتوسط ساحة الدار ، لولا تدخل أمه السريع لانتشاله لكان من عداد الموتى [٢١].

---

(١٨) الجواهري، قصائد قادمة من حضارة الكوفة. ص٩٩.

(١٩) الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، المصدر نفسه. ص٤٦.

(٢٠) علم النفس وميادنيه: فريق من الباحثين، ترجمة وجيه أسعد موْسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م. ص٧٨.

(٢١) طاهر، المصدرنفسه. ص٢١٤.

هذه الحوادث دخلت ذاكرة الطفل ولما يجتز عامة الثالث وكان مهدي مثار دهشة في الفطنة والذكاء ،إذ ذكّر ((أمة بموت جده ثم حدد لها المكان الذي توفي فيه كما سرد عليها مظاهر الحزن وتقاليد العزاء ولم يتخط عامه الثاني)).وعن النشأه يقول الجواهري ((ولدت ونشأت في بيت ديني ، عربي ، متوسط وعريق كذلك يجاور المرقد العلوي، في هذا البيت تعلمت لاول مرة كيف يكون (الاعتداء). ويذكر الاستاذ فرحان اليحيى ((وبعد سنتين أو ثلاث من وفاة جده ، هدم البيت البين القديم وبناه من جديد ثم أعاد تجديد الحوض، وكان مهدي اذ ذاك في عامه الرابع))[٢٢].

بداية نبوغه الشعري:

ومن المعروف ان شاعرنا لم يكن هو وحده من بين أفراد أسرته الى الشعر والشعراء ، بل كإن ضمن افراد عائلته من يقرض الشعر كما يقول ((د.محمد حسين الاعرجي)).((ولم يكن وحده من بين أفراد أسرته شاعرنا، فقد كان أبوه الشيخ عبد الحسين شاعراً، وكان أخوه الأكبر: الشيخ عبد العزيز شاعراً ايضاً وكان أخوه الأخر الذي لم يبرح النجف حتى وفاته أعني: عبد الهادي شاعراً مثل أبيه ، وأخوته، حتى لكان الشعر من جبلة أهل هذا البيت ومن طبيعة تكوينهم)) [٢٣]. ونجد شاعرنا يتحدث عن أول قصيدة نشرها في جريدة (العراق) التي اختارت له اسم (نابغة النجف) وكان ذلك عام (١٩٢٠م). وهو في الثامنة عشرة من عمره وكان عنوان تلك القصيدة التي نشرها لأول مرة (الشاعرالمقبور).[٢٤] قصيدة الشاعر المقبور:

دعا الموت فاستحلت لديه مرائره أخو مورد ضاقت عليه مصادره
عــرا سكوت فـاستراب عـداته ومـا هو الاشا عــركل خــاطره

((ويفاجأ الجواهري بذيوع صيته في العراق عندما فوجيء في أحد الأيام بالشاعر المبدع (محمود الهاشمي) يرد عليه في جريدة (الرافدين) الجريدة الثورية الأولى انذاك كما يصفها الجواهري قائلاً في قطعة مؤثرة وعلى الصفحة الاولى معنونة إلى (نابغة النجف)**ومطلعها**))[٢٥]

(٢٢) الجواهري، المصدرنفسه. ص٤٦.
(٢٣) بهاءالدين، المصدرنفسه. ص٤٢.
(٢٤) الجواهري، المصدرنفسه. ص٨٧.
(٢٥) الجواهري، المصدرنفسه. ص٨٩.

وفا ته:

عاش الجواهري في غربتين داخلية ، داخل وطنه وغربة خارجية لدى تركه العراق وتنقله في بلاد عدة، حتى وفاته في دمشق، يوم (٢٧-٧-١٩٩٧م) بعيداً عن أرض بلاده.. أرض الأجداد صبيحة السابع والعشرين من تموز عام (١٩٩٧م) غادرنا الى دار الخلود وتم تشييعه في موكب مهيب شارك فيه الآلاف من محبي شعره من العراقيين والعرب.

إلى مقبرة الغرباء في السيدة زينب وبجوار قبر زوجته آمونة [٢٦]. وكان تشييع الشاعر إلى مثواه الأخير حضوراً رسمياً عالي المستوى تقديراً لشاعريته وجماهير غفيرة من الأوساط الشعبية ومحبي الشاعر.[٢٧]

(٢٦) الخير، المصدرنفسه. ص٩.

(٢٧) اليحي، المصدرنفسه. ص٦٩.

الفصل الأول: تطور الادب العربي وملامح الحداثة فيه

المبحث الأول: لمحة تأريخية عن الأدب العربي

المطلب الأول: الأدب العربي قبل الحداث

الشعر فن أدبي:

ان جوهر الفن أو أساسه يقوم على التعبير عن عاطفة الإنسان و موقفه الوجداني تجاه الوجود . ذلك لأن أهم ما يدفع الإنسان إلى انتاج الفن هو انفعاله أمام ظواهر الوجود و خوضه تجارب تشير فيه ضروبا شتى من الأحاسيس والعواطف. ولا يحس الإنسان في مثل هذه المواقف بالراحة والرضا إلا إذا اعتبر عن هذه الإنفعالات والأحاسيس واوصلها إلى غيره من البشر سواءاَ أكان الإنسان فنانا أم غير فنان لكن الإنسان العادي غير فنان يعبر عن عواطفه بطريقة غريزية لا يضمن لها البقاء على حين يعبرالفنان عن هذه العواطف باسلوب فني واع يضمن لها البقاء والخلود. كما سنرى في الخصيصة الثالثة .على أن هذا لايعني أن الفن ليس إلا عواطف وأحاسيس حسب . فلا أفكار فيه ولا حقائق وإنما المقصود بذلك أن الفن أحساس و عاطفة أولا ثم قد يأتي فيه الأفكار أو لايأتي لكن الفن العظيم والصادق يحمل دائما أفكارا ونظرات عميقة عن الحياة والوجود . مما يجعل الإنسان أكثر فهما و معرفة للعالم والوجود. ولعل هذه الحقيقة تضع بين ايدينا أساسا نفرق به بين الفن والعلم. فبينما يعبر الفن عن عاطفة الإنسان تجاه الوجود . وتكون العاطفة فيه الجوهر أو الأساس . نجد العلم يسجل الحقائق عن الوجود وهذه الحقائق تكون جوهرة أو أساسه. ويتخذ الإنسان على نحو عام من الطبيعة موقفين.

في الموقف الأول لايسعى الإنسان إلى أن يدرس و يحلل ظواهر الطبيعة و مكوناتها بل يكون همه أن يسجل ما تشير فيه ظواهر الطبيعة من الاحاسيس و عواطف) (فيهتم بأن يعبر عن هذه العواطف و يتأمل كون تأثره بالطبيعة وتفاعله معها . يسر ويرتاح اذ يرى السهول المنبسط والخضرة الزاهية، ويختم و ينقبض حين يشهد الأحزان الوعرة والفلاة المجدبة، ويشعر بالروع والإكبار اذ يرى الجبال الشامخة والبحر الهادر[٢٨].

(٢٨) مصطفى، فائق، فن النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، عبدالرضا علي، ط ٢، دار المكتب للطباعة والنشرجامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٠م. ص ١٢-١٣.

وتخيفه الوحوش الضارية ويطمئن الى الطيور الوديعة. و يذعر من ظلام الليل و يفزع من القوى الطبيعية الجبارة من العاصفة والسيل والرعد والبرق كذلك يتأمل مجتمعه الانساني وما يزخر به من الأشخاص والأحداث فيشعر نحوهم و نحوها بالعواطف المتباينة المتراوحة .

فيحاول ان ينفس عن انفعاله هذا المشتمل على الخوف او الإطمئنان. السرور اوالإغتمام الإجلال أوالإحتقار أو الحب أو الكراهية) (ومن هنا الموقف ينتج الفن. أما في الموقف الثاني فالإنسان ينظر الى الطبيعة نظرة موضوعية يتجرد خلالها من انفعالاته و احاسيسه ويسعى الى أن يدرس عناصر الطبيعة و حقائقها ليعرف اسرارها و خصائصها حتى يسيطر عليها و يخضعها لإرادته ومن هذا الموقف ينتج العلم[٢٩]).

أثر البيئة على الحياة الأدبية:

ان البيئة تشارك الأديب في الخلق و أدبه، وبيئة الإنسان: هي محيطه الذي يعيش فيه . والشاعر أو الكاتب انما يستمد قطعته الأدبية من بيئته ومحيطه. وألفاظه ومعانيه تكون - عادة وثيقة الصلة بهذه البيئة كما أن نظرته الى الموضوع وطريقة تناوله ايضا، تكون وثيقة الصلة بحياته وعاداته وثقافته . ترى الأدب الجاهلي صورة لحياة الصحراء، ولثقافة العرب الجاهليين و ترى الادب الحضري صورة لحياة الحاضرة، ولثقافة الحضر.ترى في الشعر الجاهلي وصف الطبيعة الصحراوية بسماتها ونجومها ورياحها وامطارها وسيولها ترى فيه وصف نبات الصحراء كما ترى فيه وصف حيوانها و وهادها و روابيها و وديانها. وقد اكثر العرب من وصف خيولهم وجمالهم وملؤوا أشعارهم بوصف الطباء و حمر الوحش، كما كثر وصفهم للصيد و آلاته، وكثرت بينهم الحروب والغارات فكثر شعرهم في وصف السلاح والخيل والمعارك.[٣٠] وبيئة العراق نهرية، ولذا كثر فيها الأدب الذي يتخذ من الأنهار وفيضانها ومدها جزرها موضوعا له وقد كثر فيه وصف السفن، الذي نراه ينعدم أو يكاد في الشعر الجاهلي البدوي لخلو محيط الصحراء من الأنهار، كما كثر وصف صيد السمك وآلاته، وهو معدوم في الشعر الجاهلي لنفس العلة التي خلا بسببها من وصف السفن. وتكثر الأهوار المستنقعات في العراق و فيها البق والبعوض ومن هنا دارت أوصاف هذه الحشرات في اشعار العراقيين وهي تنعدم أو تكاد في

(٢٩) مصطفي، المصدرنفسه. ص١٢-١٣.

(٣٠) سعيد، جميل، تأريخ الأدب العربي الحديث، النشرو الطباعة العراقية، ط٢، العراقية، ١٩٥٢م. ص٢٠.

الشعر الجاهلي. وكثر النخل والكرم في العراق، وعاش العراقيون عيشة لهو وترف، ومن هنا كثرت أوصاف الخمر وأوانيها ومجالسها، وسباقاتها في شعرهم [٣١].

وارتقت حياة العراقيين في عصور بني العباس، وكثرت القصور تحيط بها الحدائق وتنشأ فيها البرك فكثر وصفها في أدبهم وأشعارهم وارتقت ثقافة العراقيين. وكثر بينهم من يكتب ومن يقرأ فاتخذ الشعراء من الكتاب والأقلام والمحابر والدفاتر والكتب مادة للشعر والأدب نراها تنعدم، أو تكاد تنعدم، في الشعر الجاهلي .

وهكذا نرى البيئة الطبيعية والبيئة الإجتماعية هي التي تملي على الشعراء موضوعاتهم، ونرى ان الشاعر أو الكاتب في الغالب لايتحدث أو لايجيد الحديث إلا كما في البيئة وما يضطرب وما يحيا بها. وتختلف ثقافة الشاعرَين أو الكاتبيَن يعيشان في عصر واحد وبيئة واحدة فترى هذا الاختلاف واضحا في تناولهم للموضوع الواحد، مثال هذا انك تقرأوصاف الأسد للمتنبي وتقرؤه للشريف الرضي فترى ما بينهما من بون، وتقرأ وصف الأسد للبحتري، وقد سبقهما معا فترى الفرق بينه وبينهما. وهكذا يبدو الأمر في موضوع يتناوله شاعران انهما يفترقان في تناول الموضوع بقدر ما يفترقان في الثقافة [٣٢].

أثر السياسة في الحياة الأدبية:

ان اغلب الكتب التي ارخت الأدب العربي في عصرنا الحاضر جعلت العصور الأدبية مرتبطة بالسياسة ارتباطا تاما حتى سموا الادوار الادبية باسماء الادوار السياسية فقالوا: الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام والأدب الاموي والأدب العباسي وهكذا... ولكننا مع الإيمان بسلامة هذا الربط في الجملة نرى أن نهضة الأدبية قد تسبق النهضة السياسية وقد تتخلف عنها فليست النهضات العلمية والأدبية بهذه المرونة حتى تتقلب بين عشية وضحاها من حال الى حال كما يتفق ذلك للأوضاع والسياسية. قد تكون الأمة على خير ماتكون في السياسة من تجمع الهمة ، وقوة الجيش والسلطان ومع ذلك يضعف شأن الأدب أو بعض فنونه كما حدث للشعر في صدر الإسلام ، أيام الخلفاء الراشدين وقد تكون الأمة على فساد من حال السياسة ومع ذلك ترى الحياة الأدبية فيها قد ازدهرت وآتت اكلها شهيا كما ترى ذلك في العصر الثالث من عصور الدولة العباسية. ومهما يكن من أمر فإن نوع الحكم وحالة البلاد السياسية ذات أثر قوي في حياة الأدب

(٣١) سعيد، المصدرنفسه. ص٢١-٢٢.

(٣٢) سعيد، جميل، المصدرنفسه.ص٢٢.

وتوجيهه، فالحياة الديموقراطية مثلا تزدهر فيها الخطب لأن الناس يستطيعون معها أن يعلنوا عن آرائهم بصراحة ، كما يستطيع نصوصهم أن يردوا عليهم بصراحة أيضا [٣٣].

أثر الحياة الإجتماعية في الشعر:

الحياة الإحتماعية قبل النهضة و مباديء النظم الإقتصادية التي كانت سائدة، والتي أدت الى خلق طبقتين في المجتمع متناقضتين، طبقة غنية تضم فئة قليلة من الحكام كانت تستأثر بالنفوذ والثراء ويطلق عليها اسم الخاصة وطبقة تضم البقية الباقية من الناس ويطلق عليها اسم العامة. وكانت هذه الطبقة عرضة للكوارث، والأوبئة و المجاعات والفتن و العنف والإستغلال، فشار في أوساطها الحمل والمرض والفقر والشقاء وكانت تتشبث بأسباب الحياة والبقاء وتحتال على كسب قوتها بطرق مستقيمة أنا ملتوية أنا آخر فطفى على سلوكها وخلاقها التقلب والتلون [٣٤].وهكذا يبدو أن العامة كانت فريسة ضعيفة يقسو عليها الحكام الجائزون ويستغلونها استغلالا بشعا، وحملها مايطيق وما لايطيق، وقسا عليها قسوة شديدة وإلا كيف يسير له أن يجمع هذه الثروة الطائلة.

وبعد هذا أليس من حقنا أن نطمئن الى ماذهبنا اليه وهو أن حياة البؤوس الحرماني التي سادت المجتمع هي التي دفعت هؤلاء الناس الى التحايل على كسب القوت بهذه الفرق الملتوية القائمة على التقلب والملق والمكر والخداع، اليس في هذا السلوك دليل على شيوع الروح الاصولية في المجتمع بحيث صار الفرد لا تهمه سوى لقمة عيشة تريد أن تبلغها بأي طريق كان، ومادام ذلك كذلك فلا جرم اصيب الاخلاق الكريمة والصفات الحميدة بالغشاوة والصدا فندر الوفاء وعز الصديق وشاع الجفاء والقطيعة والملق والخداع والاحتيال وموهت الأخلاق وتلون السلوك حتى صار الكثير من الناس يظهر ان أحدهما ظاهر براق جميل والآخر باطن مستتر رديء [٣٥].

---

(٣٣) سعيد، المصدرنفسه.ص٢٣-٢٤.

(٣٤) العبود، عبدالكريم توفيق، الشعر العربي في العراق، دارالحرية للطباعة بغداد، بغداد، ١٩٧٦م. ص ٧٣-٧٤.

(٣٥) العبود، المصدرنفسه.ص٢٠٢.

أهم مميزات الأدب والثقافة لفترة ماقبل الحداثة:

١. كان المدارس و دور العلم وقرائن الكتب وربطه الصوفية فقد أصابها شكل كبير.

٢. نظم الشعراء في مختلف الأغراض التقليدية المعروفة كالمديح الرثاء والغزل والفخر والحماسة والهجاء والوصف والزهد والتصوف والخمريات والأخوانيات.

٣. ان شعرهذا العصريتراود بين مستويين متناقضين احدهما وهو قليل حيث حافظ على الصناعة القديمة وراعي مقوماتها واصولها وتاينها وهو الكثير، ضعيف، ظهرت فيه ملحمة البناء والتركيب وافتقر الى الإبداع، والإبتكار أن هؤلاء الكثرة لم يكونوا بالدرجة الكافية من المستوى اللغوي والأدبي الذي كان عليه شعراء العصر العباسي، أمثال (بشار بن برد وأبي نواس).

٤. كان الضعف واضحا من اساليبهم ومثال ذلك هو قول البوصري من قصيدة طويلة رفعها الى الدزير لجاء الدين علي بن محمد بن سليم.

٥. ضعف الألفاظ والتراكيبه وقد جاء ذلك من عبرهم عن التصرف في اللغة وقد اخفى بعضهم هذا الضعف يثوب الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية.

٦. كثير من شعرهم يعبر عن الطبع والذوق العربي عن الطبع والذوق العربي الأصيل [٣٦].

٧. ميز كثير من قصائدهم بالتكلف المقييت في التضمين والصفة اللفظية الى اخقت على الأبيات ثقلا ومجافات للطبع والذوق الأدبي الى جانب قلل واضح من المعنى.

٨. فكانت في اشعارهم الوان اخرى مثل الجناس الغريب والملفق والقصيدة المعجمة والمهملة والحروف الموصلة والمقطفة، والى جانب هذا فقه عرض الشعر من العصور المتأخر أشكالا متحدثة كالتأريخ والتبشير وذوات القوافي ومحبول طرقين والشعر الهندسي وغير هذا [٣٧].

٩. كانت الكتب مبعثرة في المساجد يتولى أمرها حزم لايقدرونها قدرا فقرطوا ولتره كثير من كنوزها الادبية والعلمية الى مكاتب أوروبا وأهين كثير من الكتب القيمة باستعمالها في دكاكينه البدائين وغيرهم[٣٨].

---

(٣٦) رشيد، ناظم، أدب العصورالمتأخرة، الموصل مكتبة بسام، ج١، الموصل، ١٩٨٥م. ص٣٨-٣٩.

(٣٧) رشيد، المصدر نفسه. ص٣٩.

(٣٨) الدسُوقي، عمر، في الأدب الحديث، ملتزم الطبعة والنشردارالفكرالعربي، القاهرة، (د.ت) . ص٧٢.

تطورات الأخيرة:

يمكننا أن نحصر تطورات الأخيرة بالنقاط التالية:

١. ان الشعر الذي تمخضت عنه النهضة الحديثة هجر المسالك التي كان يلجأ اليها الشعر القديم من ندب الديار وبكاء الاطلال وحث المطايا، واقلع عن التكلف في ايراد المحسنات البديعية كالتورية والجناس وما اليهما، الا ما اتى منها عفو الخاطر، واتجه في تطوره نحو المناحي الاجتماعية والسياسية والعلمية والتمثيلية والقصصي.

٢. وبعد ان كانت اجزاءه مفككة ومعاينة مضطربة اصبح في الآونة الأحيرة يعمل على وحدة المعنى وربط احزاء القصيدة بعضها ببعض. وكذلك ظهر تطور في اوزان الشعر وقوافيه فبعد ان كان الشعراء المتأخرون في القرن الماضي، مثلا لاينفكون عن مجاراة الأقدميين في الأوزان والقوافي اضحى الشعراء، المجددون، في القرن العشرين، يحدثون تغييرا في القوافي والأوزان حتى لقد ينفرد كل مقطع من مقاطع القصيدة بقافية خاصة و بحر خاص.

٣. وقبل ان هذا البحث، بحسن ان نشير الى الفارق بين منزلتي الشاعر وحديثا كان الشاعر في القديم يتخذ من نفسه صناجة للملوك والامراء وذوي الشرف والنفوذ فيطربهم في افراحهم و يواسيهم في اتراحمهم، ولكنه في الغالب الآن لا ينطبق بشعر الا اجابة لشعور خالص ينظمه لغيره و وطنيه او هزة عاطفية.

وبذا تحرر الشعر من تلك العبودية المطلقة التي كان يؤسف من اغلالها قرونا عدة. تلك السمة الشاعر العصري، اما من جنح الى غير ذلك من شعراء العصر فنفر لايعتد بهم، ولا يؤمن بشعرهم[٣٩] .

عصر الإنحصار:

لم يكن سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ ١٣٥٨ م) الا الحد الوهمي بين العصر الذهبي للشعر العربي وعصر الإنحصار والتخلف فالحقيقة إن الشعر بدأ يميل الى الضعف منذ القرن الربع الهجري بغض النظر عن ظهور شعراء عظام في هذا القرن وما تلاه بسبب تراجع الثقافة العربية عن مكانتها العالية وافتقادها قوة الدفع من السلطات الحاكمة والضعف السياسي الذي دب في جسم الدولة المقترن باظطراب اقتصادي واجتماعي وفكري، وبسبب انحصار الشعر العربي في قوالب و موضوعات محددة ساعدت الى حد كبير في تكرار صورة وأخيلته ومعانيه.

(٣٩) سعيد، جميل، المصدرنفسه.ص٥٦-٥٧.

واجتمعت كل هذه الظواهر معا لتدفع الشعراء الى اهتمام بتوافة الأشياء وبالظواهر السطحية، والمعاني العامة التي لا تحتاج الى عمق تفكير أو صدق انفعال واستعال الشعر الى صناعة ذهنية تشبه الصناعات يدوية التي تحتاج الى مهارة يد صانع وحذفه كما استعمال الى وسيلة رخيصة لاكتساب الرزق يقوم على استخدامها غير ذوي المواهب الحقيقة، الى جانب الموهمين الذين قعدت بهم ثقافتهم المحددة ولغتهم المبتذلة عن التحليق والإبداع [٤٠].

(٤٠) هَدارة، محمد مصطفى، بحوث في الأدب العربي الحديث، للطباعة والنشربيروت، بيروت، ط١، ١٩٩٤م. ص٩.

المطلب الثاني: عهد النهضة وعواملها

بداية الشعر الحديث:

بدأ إحساس الشعراء بالنفور من الادب التقليدي الجامد الذي ورثوه من عصر الانحصار منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) وكان ذلك إيذانا لعصر جديد نزول منه القيم الادبية للعصور الوسطى، وتزدهر القيم العربية الاصلية والعربية المحدثة في مزاج متكامل. وكان الفكر الأوروبي قد بدأ يتفلخل في الشرق العربي منذ عصر الحملة الفرنسية، والنفتاح مصر على أوروبا، وامريكا. وبدأت نظم التعليم الحديثة تغزوا العقول وتغير اتجاهاتها وطرق تفكيرها، بعد ان ران عليها الجهل فترة طويلة في عصر الانحصار الثقافي، أوغلب عليها جحود التعليم الذي وصل الى حالة يرثى لها في ضعف وسائله [٤١].

ان دراسات في الشعر العربي الحديث، وليد القرن العشرين، وتطلعات الشعراء نحو التجديد واللحاق بالركب العالمي الذي بدأت نهضته الحديثة قبل أن تظهر بواكير التجديد في الوطن العربي. والشعر العربي الحديث يحتاج الى دراسات موضوعية لتنجلى أهدافة وتتضح سبله، لأنه عالج كثيراً من القضايا التي تهم الإنسان العربي ومنها الحروب التي خاضتها الأمة العربية، والثورات هنا وهناك، والمقاومة في الارض المحتلة، ومقارعة الاستعمار الجديد ومخططا الرهيبة [٤٢].

ودَّع القرن التاسع عشرأعوامه، والشعر العربي يزرخ تحت القديم شكلا و مضمونا، فهو ذو شطرين، ولايكاد يخرج عن ذلك إلا فيما نظم الشعراء من موشحات كانت صدى لموشحات الأقدمين، ولاتكاد مضامينه تتعدى المديح والرثاء والتهاني والاخوانيات، وماكان يشيع من شعر في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبكاء آله الطيبين الأبرار [٤٣].

فلعل هذه البحوث تكون دعوة الى دراسة الشعر العربي الحديث دراسة موضوعية تُعني بالقضايا التي وقف عندها، تُعبر عن الموافق البطولية، والتحديات العظيمة التي شهدتها الأمة العربية وهي تناضل من أجل الحياة الحرة الكريمة، وتقاوم العدوان [٤٤].

---

(٤١) هدارة، المصدرنفسه. ص١٥.

(٤٢) مطلوب، أحمد، في الشعراء العربي الحديث، دارالشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٢م. ص٥ .

(٤٣) مطلوب، المصدر نفسه: ص٦-٧.

(٤٤) مطلوب، أحمد، المصدرنفسه. ص٧.

وما ان بدأت تهب على العراق نهضة مصر وثقافة الغرب، حتى بدأ الشعراء يلتمسون طريقهم نحو التجديد يعبر عن وجدانهم ومشاعرهم والواقع الذي كانوا فيه يحيون، وبرز الشعراء كان لهم دور في النهضة العربية الحديثة والدعوة الى التجديد والسمو بالشعر الى أفاق رحيبة يسبح في أحوائها الشعراء محلقين ومبدعين. والملامح التي وقف عندها البحث هي الدعوة التي التجديد ومفهوم الشعر عند هؤلاء الشعراء، وشكل القصيدة وما طرأ عليها من وحدة أجزاتها وتنوع قوافيها، وظهور قصائد جديدة لم يكن لشعراء العراق في القرن التاسع عشر إسهام فيها، ماعدا البند الذي ظهر، ثم لم يعد يجد رواحا في النهضة الحديثة.ومن تلك القصائد ماسُمى ((الشعر المرتسل)) الذي دعا إليه الزهاوي ونظم فيه بعض القصائد، و(الشعر المنشور) و (الشعرالطليق). أفاق واسعة وامتد ليشمل الذات والتعبير عن المشاعر وبث مافي النفس من آلام، وشكوى مما يعاني الشاعر من مصاعب في الحياة. وهو ماعُرف الشعر قديما، ولكنه كاد يطفى على نزعة الشاعر الذاتية ولجوئه الى الطبيعة يبث شكواه ويرسل آهاته، ويصور آحزانه [٤٥] وكانت قضايا الأمة العربية والوطن، والاستعمار، والأوضاع الاجتماعية المتردية، وتحرير المرأة وتثقيفها، من أبرز معالم شعر رواد النهضة.وكان العلم والدعوة الى الأخذ به للنهوض والتقديم مما أولاه الشعراء عناية كبيرة. وبعد: فهذه أهم ملامح التجديد في الثلث الاول من القرن العشرين وتعد ثورة في تطور الشعر العراقي الحديث الذي تؤخذ مقايسس تجديدة وتقليدة من معطيات الثقافة وواقع الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك الحين. هذان هما أهم ملامح معجم العيار الشعري، وكان لإيمانه بشعبية الأدب يردد بعض الألفاظ العامية والأجنبية في شعره مما اكتسبه ملمحاً يندر مثله في شعرمعاصري.

والشعر الرفيع يرفض الالفاظ العامية والاجنبية، لأن في غيرها من الفصيح القدرة على التعبير عن المنازع والأهواء، ولكن عراراً سار في سبيله الشعري، وهو سبيل لايوصل الى قمة الشعر الرائع، ولا ينزل به الى الابتذال [٤٦]

اسباب النهضة العربية:

أ. حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ والتي انبشقت منها أثارا وفوائد ايجابيه جمه، هبث مصر من سبابها الهحيش ومن اهم فوائد تلك الجمل:

(٤٥) مطلوب، أحمد، المصدرنفسه. ص٥٨-٥٩.

(٤٦) مطلوب، أحمد، المصدرنفسه. ص٣٧٦.

١. انشاء ء المدارس للفرنسيين مما دفع بالمصريين ان يحزو حزوهم وبتشجعوا في بناء المدارس وفتحها.

٢. انشاء الفرنسيين في مصر مسرحا للتمثيل وكانوا يمثلون فيه روايات فرنسية كل عشر ليالى مما حدى بالمصريين ان يهثوا بالمسرح والعمل المسرحي وكتابه الروايات المسرحية.

٣. احذر جريدتين في مصر وكان ذلك سبيلا للاهتمام بالاعلام الصحفي.

٤. زاد الفرنسيون في فتح المصانع والمعامل ومن اهم المعامل والتي كان لها دور بارز في المجال العلمى والثقافي معمل الورق .

٥. اسست مراصد فلكية وأماكن للابحاث الرياضية والنقش والتصوير.

٦. اسست مكتبة عامة وقد جمعت بعض كتبها من المساجد والآضرحه وتضمنت المكبسته الكثير من الكتب القيمة الفرنسية والتي اجلبتها الحملة الفرنسية معها وصارت هذه الكتب مصادر ثمينه للمثقفينين العرب.

٧. انشأ المجمع العلمي المصري على غرار نظام المجمع العلمي الفرنسي وكان الفرض من تأسيس هذا المجمع:

أ. نشر المدنية وبعث العلوم والمعارف بمصر .

ب. دراسه المسائل والابحاث التاريخية والطبيعه والصناعية ونشرها في مجلة المجمع .

ج. صارالمجمع مصدر الانشادة الحكومهةبه في بعض الامور .

٨. بذل الفرنسيون غاية جهدهم من تقريب المصريين اليهم وترغيبهم في اسباب الحضاره .

٩. قاموا بتاسيس الدواوين في مصر وانتخبوا لها اعضاء ادارة الشؤون لهذه الدواوين[٤٧] .

ب. تولى محمد على امرمصرحيث كان طموحا يريد مسابقة اوروبا في الحظارة والعلوم والقوة، ومن اهم مافام به محمد على:

١. قام بوضع اسس شامله للنهضة في الجيش والصناعة والزراعة والتعليم والادارة.

٢. في سنة ١٨١٥ اسس مدرسه حربيه اعدادية واكثر بها في الاساتذة المصريين .

(٤٧) لجنة، تأريخ الأدب العربي الحديث، النشرالطباعة العراقية، العراق، ط٢، ١٩٩٣م. ص٢٩.

٣. في سنة ١٨٢٦ انشأ مدرسة الطب واقام لجوارها مستشفى كبيراً لمعالجه المرضى ولتعليم الطلبه للامور الطبيه واحضرلها اساتذة من القرب .

٤. اهتم بالترجمة واحضرلها المترجمين بين التلاميذ و اساتذتهم الاوروبين وذلك لتلقينهم العلوم الاوروبية الحديثه .

٥. اكثر من فتح المدارس الابتدائية والعالية وقد بدأ بفتح المدارس العالية اولا ليسطيع اعداد متحصصين في المواد المختلفة الاشراف على المراحل الدراسية الاخرى.

٦. اسس مدرسه للصيدلة واخرى للهندسة ومدرسة للوكدة والتمريض .

٧. احضر اساتذة فرنسيين في مختلف انواع العلوم والفنون لسد حاجة من المخصين.

٨. لكي يتم النهضه بحق ارسل بعثات الى الخارج وبخاصة فرنسا فارسل في لسة ١٩٢٦ بعثه مؤلفه من اربعة وا اربعين طالبا الى فرنسا تخصصوا في شتئ العلوم والفنون وكان اشهر هؤلاء وامام البعثه) رفاعة الطهطاوي وتوالت البعثات حيث ارسل محمد على احدى عشرة بعثه اخرها سنة ١٨٤٧ وكان لهذه البعثاث اثرها البالغ في تعرف العرب على العلوم والفنون والشقافات الاجنبية.[٤٨]

ج. وفي العراق فحت مدارس في عهد مدحت باشا منها (المدرسة الرشدية العسكرية) و (المدرسة الرشدية الملكية) و(المدراسة الحمديه) وفي بداية القرن العشرين لسنة الى اعلن .

١. الدستور العثماني والتي يعبرها البعض بداية النهضة تأسست في بغداد كليه الحقوق وهي اقدم كليات العراق، بالاضافة الى ماذكر فتحت المعاهدوا المدارس ودورالمعلمين فيما بعد اعلان الدستور التركي كما انشئت كليات باختصاصات مختلفة من المدينة والعسكرية فتحت مدارس مهنية.

٢. وفي سوريا ولبنان انشئت المدارس والمعاهد والجامعات واقيمت في لبنان كليه امريكية في ١٨٦٦وكليه يسوعيه في ١٨٧٤ وتحولثا الى جامعتين تحتويان عده كليات.

ز. الطباعة: وهي من اشد الوسائل للسير بالحضاره والثقافه نحو الرفي ولازدهار لانها مهدت الطريق للحفاظ على ذخائر الكتب وايصالها الى ايدى الجميع كما كانت وسيلة انتشار الصحف والمجلات.واول طباعه احضرها الفرنسيون في مصرعام١٧٩٨م وكانت مزودة بحروف

(٤٨) لجنة، المصدرنفسه. ص٢٩-٣٠.

لاتينية ويؤنانية وعربية وفي عهد محمد على الكبير اسست المطبعة الاهليه (بولاق). ولكن سوريا كانت اسبق البلدان العربية الى استعمال الطباعة في اوائل قرن السابع عشر اسس الرهبان اول مطبعه وفي ١٨٤٨ انشئت الطبعة الكاثوليكية وفي العبث المطبابع في غير البلدان العربية بنشر المولفات العربية محيطة الجوانب (الجوائب) التي اسسها (احمد فارس الشعريات) في استانه.وفي اماكن اخرى..

ر. الصحافة: من اهم مصادر الثقافة من العصر الحديث بواسطتها يتطلع الناس على النقد العلمي والتطورات السياسية والاسنكشافات الحديث والتحويلات الاجتماعية وانشأت في عهد محمد على في سنة١٨٢٣ جريده جنزال الحديوي في سنة ١٨٢٨م جريده (الوقائع) تعددت الجرائد واهمها الاهرام واللواء وفي الشام اقدمها (مرأة الاحوال) سنة١٨٥٥م وحديقة الاخبار١٨٥٨م المقتبس في العراق جريده الزوراء عام١٨٦٩م وجريدة الموصل ١٨٨٥ وفي البصرة صدرت جريده.(المقتبس) وغيرها عام١٨٦٩م وجريدة الموصل١٨٨٥م وفي البصرة.

هـ. اما البعثات العلمية فتم الحديث عنها عند الحديث عن الاعمال التي قام بها محمد علي ولاحاجة الى تكرار ماعرضناه .

م. اليقضة الدينية تولى مبادئ هذه ليقضه (جمال الدين الافغانى) و(محمد عبده).[٤٩].

ملامح التغيير:

في مستهل القرن التاسع عشرأخذت مصروالبلاد العربية تستيقظ من سبات طويل وتفرك عيونا طالت هجعتها، وتنظر دهشة إلى دنيا حافلة بالجديد في نظم العيش، ووسائل التغلب على قوى الطبيعة وتذليلها للانسان، بالمخترعات الحديثة، وفي نظم الفكر، وعالم المعاني، والأداب، وماخلقه أدباء الغرب من صور وجدوه من كتب ونظموه من شعر، وسطروه من علم مبنى على التجارب المحصة ومن حقائق مؤيدة بالبراهين الساطعة.

ومنذ ذلك الوقت، ومصرو البلاد العربية تزداد بالغرب صلة، بأهله تعرفا، وبحضارته وثقافته ولوعا ولم تنس ماضيها وتراثها المجيد من الحضارة والثقافة، فأحيث ماورثته عن العرب من أداب ضخمة، وأخذت تتناول من القديم، وتتناول من الجديد وتمزج بين الثقافتيين. وكان اتصالها بالغرب عن طرق كثيرة: فمن بعثات ترى رأى العين، وتتلق العلم على أساتذة مختصين ثمة، وتعود فتنقل صورا جديدة من العادات والحياة، وأفكارا وأراء لم تكن موجودة من قبل، ومن

(٤٩) رشيد، ناظم، المصدرنفسه. ص٣.

ترجعات الاثار العلماء الفربيين ورجال الادب والفكر، والفن والقانون، يطلع عليها جمهرة المتعلمين من الشعوب العربية، ويدرسونها فيستقرما بها من اراء في عقول الناس نتيجة التداول ومرور الزمن، وتصير من تراث الأمة العقلى، تظهر دون تعمد على ألسنة الخطباء، وعلى أسلات الاقلام، وفي ثنايا لأبيات الشعرية، والصور الفنية، وبذلك تتخذ الأدب والفن لونا جديدا مغايرا عن العصور السابقة، ويطبعة بطابع خاص[٥٠].

النهضة:

لاسيما في عصر إسماعيل على الرغم من مساوئة السياسية واجتماعية هو العصرالذى أينعت فيه النهضة الأدبية، وأورقت، وبشرت بثمار طيبة حلوة، وكان عهده الباب الذي دلف منه الأدب إلى رياضه الغناء في عصرنا الحاضر، وذلك لأن إسماعيل وضع اسس متينة لنهضة شاملة، بعد أن مضت فترة رعود كادت تعصف بما غرسه محمدعلى، وتعود بمصر القهقرى إلى عصورالظلمات وذلك أيام الواليين عباس وسعيد، إذكانا من دعاة الرجعية، فألقى عباس حسين توليته لكل المدارس العالية إلا المدرسة الحربية.والأدب في عصرإسماعيل مدين في نهضته ورقيه وسيره نحو التحرر من أغلال الماضي في نظرة عاجلة، حتى يكون إدراكنا لتطور الادب في مصروالبلاد العربية إدراكاً صحيحا.ابتدأت النهضة الشاملة منذعصرمحمدعلى، وقد رأيت شيئا من معالمها، ورأيت كيف كان الشعر يتردد بين المرض والعافية، فيصح أحيانا وينتكس أحيانا كثيرة. والنهضة سائرة في طريقها في عهد اسماعيل، واللغة يدب فيها شئ من القوة، والمطابع تدفع بالكتب الأدبية القديمة، واللمدارس تبدد سُدف الجهل والظلام. والصحافة تكشف الطريق، وتزيل ما به من أوضاروعوائق، ولكن الشعر ظل على حالة من الضعف لم يقف على قدمية بعد، وكان مكبلا بقيود ثقيلة تحت أنقاض هذا البناء المشمخر الذي تداعي أيام الانحلال[٥١].

حركة التطور الى الأسلوب الجديد للشعر:

أراد الثوار إذن إن ينفضوا عنهم أكفار العصور الوسطى التي حصرتهم في موضوعات وأساليب تقليدية .يقول الشاعر الثامي رزق الله حسون(١٢٩٨ هـ١٨٨٠ م)في التعبير عن ذلك المعنى وفي وجوب رد الشعر إلى طبيعة مهمته فيكون غداء للنفوس.

لسيت شعري منى أرى شعراء الشرق يوماً بفضلهم أغنياء

(٥٠)) رشيد، ناظم، المصدرنفسه.ص٤.

(٥١) الدسُوقي، المصدرنفسه.ص١٦٧.

ورثــوا من تقدموهم فنالــوا شـــر إرث مـــذلة وشقاء

بين هجو كالسب أو هو أدنى ومـــديح تـــعده استجداء

ليس كـالمال للـقرائح سُـمُ حين يـــلهو بيعاً بـها وشراء

إنمـا الشعرللنـفـوس غداء افسـدوه فصيروه هـــذاء

يـتبـع الشعرأهله فامتهـانـا وابـتـذالا أوعـــزة وإبـــاء [٥٢]

ولكن هذا التطور الذي أرادة الشعراء التفريق وقتا طويلا حتى تتشربه نفوسهم وتستوعبه عقولهم، فظلت دواوين أوائل الشعراء حتى بدايات القرن العشرين تحمل صور الصراع بين القديم المنبوذ ـ بما فيه من تقليد ممل، وشعرمناسبات فارغة وعواطف زائفة، والتلهي بالأحاجي والزخارف البديعية ـ وبين الجديد الذي يعبر عن نفس الشاعر، والقضايا الانسانية والوطنية ويسقط عن كاهله أساليب الزيف والبهرجة في الشكل والمضمون على السواء.فلساعات ينظم قصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيضمنها مائة وخمسين نوعا من البديع، وكأنه ذلك الهدف الشكلي الصناعي كان غايته من القصيدة، بينها نرى صالح مجدي يهاجم سياسة إسماعيل (١٣١٣هـ١٨٩٥م) التي أدت بعد ذلك إلى احتلال مصر، فيقول في جرأة وحرارة وصدق . ولكن الذي عجل ياحداث ثورة التجديد ظهور الفكرة القومية والشعوربالانتماء الى الوطن وخاصة بعد الثورة العربية في مصر وثورة المهدي في السودان وامتداد الحركة القومية العربية في مواجهة الحكم العثماني بالشام .بين الاحياء والتقليد: أراد المجدون من الشعراء في القرن التاسع عشر الميلادي أن يعبروا مسافة التخلف الواسعة في عصر الانحصار، بالارتداد إلى اليتابيع الأولى للشعر العربى، وخاصة في عهد الازدهار العباسي وأتاح لهم النضح الثقا في في عصرهم الاطلاع على دواوين الشعراء العظام، فانكبوا عليها يستوحونها، ويجعلونها نماذج أمام عيونهم يعارضونها، ويتمرسون بأساليبها العربية النقية الخالية من بهرجة الصناعية والتكلف، ويستلهمون موضوعاتها فيما يشغلهم من أمور أنفسهم ومشكلات حياتهم المعاصرة [٥٣].

(٥٢) انظر كتابه (النفثات) لندن، ١٨٦١م. ص١٥-١٦.

(٥٣) هدارة، محمد مصطفى، المصدر نفسه. ص١٥-١٦-١٧.

المبحث الثاني: الأدب العراقي في العصر الحديث

المطلب الاول: شعر العراقي و مرحلة الانتقال

الآدب العراقي قبل نـهضة:

كانت حالة العراق في القرن التاسع عشر امتداداً للقرون المتخلفة منذ اختلال بغداد(٦٥٦هـ) للوهن آصيب به خلال تلك القرون التي تخلف فيها سياسيا واجتماعياً وفكريا، وربما كان للروح القبلية، وتحكم العادات والقيم العشائيرية آثره في هذا التخلف. واذا كانت ثمة ظروف قد ساعدة على يقظة بعض الآقطار العربية، كمصرو لبنان و سوريا، قبل العراق، فآن هذا الآخير ظل يعاني من فضل العراق يعاني من سيطرة الحكم الآجنبي، وحرم من التمتع بحرية و خيرات أرضه، حتى بعد اعلان الحكم الملكي، أذا ارتبط بالعديد من المعاهدات مع الانكليز، والتي قيّدت حريثه و جعلته يسير في ركابه غيره. ولم تكن الحياة الثقافية أحسن حالآ من الصورة الاجتماعية، فقد الخصر العلم في المساجد وفي المدن ذات الطابع الدينى كبغداد والحلة والموصل والنجف والبصرة [٥٤]. كانت أساليب الدراسة عقيمة، ومناهجها متخلفة، وموضوعاتها محصورة بالعلوم الدينية واللغوية والنحوية وحسب.ولذلك خلت من عنصر الابتكار، ولم يتحقق بما تم لها، عنصر الاصالة وابداع التجديد إذ كان الطالب يدرس النحو والصرف و المعاني والبديع ولبيان والفقة، فيحفظ متن الاجرومية وألفية ابن مالك ومغني اللبيب ويدرس التفازاتي وكان الطلاب يتلقون علومهم على من يتخصص بهذه العلوم أوببعضها ولم تكن الدراسة لتخلو من المناقشة والمحاورة، ولكنها كانت تعتمد التحفيظ والتلقين في إلاغلب الآعم.كما كانت علاقاتها بالآقطار الآوروبية التي قطعت اشواطا بعيدة في العلم والمعرفة والآدب، معدومة ايصا، مما حرم آهلها من كل جديد ونافع كما أن وسائل نشر العلم وذيوعة كالطباعة والصحافة، كانت شبه معدومة، فلم يكن العراقيون يقفون على اسباب النهضة العلمية والفكرية والآدبية التي كانت تجري في العالم الاوربي بل حتى ماكان يتحفق منه في الآقطار العربية الأخرى كمصر و لبنان و سوريا الأالقليل النادر.

---

(٥٤) الحمداني، سالم أحمد، الآدب العربي الحديث، دارالكتب للطباعة والنثر، ط١، الموصل، ١٩٨٧ م. ص٢٣-٢٤.

وضع العراق الاجتماعى والاداري:

كان العراق مقسما الى ثلاث ولايات، هي ولايه بغداد وولاية الموصل وولاية البصرة. وكانت الولاية تتزكر بيد الوالي و بمجموعة من الموظفين، ومعظهم من الأتراك أو من الأسرى الموسرة التي كانت تربطها بالوالي علاقة طيبة.ولم تكن علاقة الناس به كذلك، ولما كانت كذلك مع معظم الموظفين في الولاية. وأشد مظاهر التفسخ في الولايات العراقية، شيوع الرشوة .اذ كانت أعلى المناصب والوظائف عرضة للشراء، ومن ضمنها الولاية نفسها، وكان هذا يستدعي صراعا على السلطة، فتشتري ذمم الناس وضمائرهم بالاموال، التي تجني ـ باسم الضرائب و الهدايا التي تجمع، وتساعد الوالي على احتفاظ بمنصبه [٥٥].

وقد أدى هذا الى شكوى الناس وتذمرهم.وكان الصراع على السلطة يؤدي الى الفوضى و السلب و النهب و القتل. وكان للوالي مساعدون اداريون، أمثال الكتخدار والد فتردار و القاضي والخزندار وينضم اليهم موظفون أقل شأنأ يساعدونهم في امور ادارتهم ولم تكن هذه الوظائف ـ سحتى الصغيرة منها ـلتتم لأصحابها الابالتزلف الخسوبية و دفع الرشوة مما ينهي الى صراع ينسحب أثره على الناس: ولعل من مظاهر شيوع حالة البؤس والشكوى والانين التي كانت تبدو في قصائد الشعراء وعلى الرغم من تحقق هذه الصورة السيئة، فقد ظهر بعض الولاه في العراق من الذين تركوا أثاراطيبة خلال فترة ولايتهم، من أمثال سليمان باشا الذي تولى الحكم مابين١٨٠٨) ـ (١٨١٦فقد امتاز حكمة) ببعض الاصلاحات (اذمنع عماله من قبول الهدايا و الرشوة. ....ومنع التعذيب ومصادرة الأموال وألغى بعض الضراب. ....كما قرب العلماء واكرمهم و أنشا بعض المدارس وشيد المساجد [٥٦]. وربما كانت هذه الاصلاحات سبباً في عزله و قتله. ومن الولاة الذين يذكرهم العراق بالاصلاح، داود باشا، الذي شيد الاسواق والخانات و حفر الأنهار وبنى المدارس والمساجد، وعني بالعلماء والأدباء والشعراء وقد كان هو نفسه عالمأ فيما يقال. ولم يكن مصيره أفضل من مصير سلفه للأسباب نفسها.

أما مدحت باشا الذي تسلم ولاية بغداد عام (١٨٦٩) فقد امتار عصره بحركة عمرانية وتجارية و صناعة، وشجع الحركة الفكرية بأنشائه جريدة الزوراء التي اخذت تشر الأخبار المحلية و العالمية، وتطلع الناس على مايجري في العالم المتمدين. كما امتاز عهده بانشاء مجلس الشورى الذي أخذ ينقد الموظفين، وكذلك قضى على قطاع الطرق واللصوص. فشاع الهدوء في

(٥٥) الحمداني، سالم أحمد، الأدب العربي الحديث. ص٢٣.

(٥٦) عزالدين، يوسف، الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م. ص٢٤ـ١٣.

الولاية وتقدمت الزراعة، وتطورالاقتضاد، فازدادت بذلك واردات الولاية ومن أهم إصلاحاته، توطين العشائر و تمليكهم الأراضي مما أشاع الهدوء والاستقرار يضاف الى هذا تأسيسه معملاً للنسيج، ومده الخط التزم بين بغداد والكاظمية وبناؤه للمدارس الثانوية، وتأسيسه لمعمل النفط في بعقوبة كما سير البواخر في خليج البصرة والبحر العربي لتصل الى الاستانة، بالاضافة الى اصلاحاته العسكرية والعمرانية الأخرى [٥٧].

الشعروموضوعاته:

ان شاعر القرن التاسع عشر قد فقد خصوصية التي ميزته من غيره من الناس أوكاد، وذلك حين فقد انتماءه للفن واحساسه بمن حوله من الناس، وصدقه في تجربته. وبذلك فقد شعره وظيفته الانسانية، حين تجردت من هذه المضامين.

ويحتل المديح مكان الصدارة في شعر القرن التاسع عشر، لصدق الشاعر فيه وصدق فنه، وتعدد معانيه، وسمو أفكاره، فهذه كلها تكاد تكون سلبية لها.

ولكن لامتداد مساحته على من قيلت فيهم قصائد المدح، فمن مدح السلطان الى مدح الوالي فمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) أل بيته، ثم مدح الموظفير. أما مدح السلطان في هذا القرن، فقد كان طريقاً للزلف وكسب المغائم الشخصية، لذلك لم يسم الى منزلة فنية عالية. وكان يخلو من جمال الأداء وروعة التعبير، ومن العواطف الجياشة والاحاسيس الفياضة [٥٨] ولعل السبب في ذلك هو خلوه من المشاركة الوجدانية، ومن صدق موقف الشعر لأن الدافع فيه كان المصلحة المتبادلة بين الشاعر و ممدوحه. ومن هنا فقد اضفى الشاعر على ممدوحه صفات) خليفه الرحمن أو(خليفة رسول الله). وقد تميزت مدائح الشعراء للولاة الذين قاموا بالاصلاحات بذكر أعمالهم الاصلاحية والاعتراف باكرامهم العلماء وتقريبهم الأدباء ورعايتهم للبلاد.

ولكن تلك المدائح كانت مشحونة بالذل والصغار، لان الشعراء كانوا يغمضون اعينهم عن الجوانب السلبية لاولئك الولاة ويتجاوزونها في مدائحهم، طمعاً في مغنم، أو وصولاً الى جاه. ومن المدح، مدح الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ومدح آل بيته ايضاً وقد تميز قسم منه بصدق الموقف وحرارة العاطفة.

---

(٥٧) الحمداني، سالم أحمد، الأدب العربي الحديث. ص٢٤.

(٥٨) ينظر: الشعر العراقي اهدافة وخصائصة في القرن التاسع عشر. ص١٩-٣١.

غرض الشعر الصوفي:

أما الشعر الصوفي فقد اتصل بالطرق الصوفية المعروفة في العراق وهي ثلاثة: الطريقه الرفاعيه التي يتنسب أصحابها الى الشيخ احمد الرفاعي، والطريقة القادرية التي ينتسب مريدوها الى الشيخ عبدالقادر الكيلانى، ثم الطريقة النقشبندية التي وطا نفوذها في العراق الشيخ خاليد النقشبندي.

غرض الشعر السياسي:

ولكن الدارس لشعر هذا القرن لا يفاجئ بوجود ظاهرة الشعر السياسي الثائر أوالقومي الناهض، وذلك حين يجد في القرن نفسه عوامل توطد لهذا الشعر وتؤدي الى ظهورة فقد كانت المشاكل السياسية التي وجدت في هذا القرن، نتيجة ضعف الكم واختلاف المذاهب، تنتهي في كثير من الاحيان الى ضيق الناس بالاوضاع، وتمردهم على السلطة وتنتهي في أخر الامرالى الثورة.

وكانت الدولة تهييء لمثل هذه الثورات و الحملات العسكرية بهدف القضاء عليها، ويستنفر الشعراء مع المقاتلين، أوينقلب الشعراء احيانا ضد السلطة الحاكمة فينظمون قصائدهم ثائيرين أومتمادين أو يائسين، لما يحيق بالبلاد من عسف وظلم[٥٩].

غرض طلب الهجرة:

وطلب الهجرة لم يكن المعنى الوحيد الذي عبريه شاعر القرن التاسع عشر عن احتجاجه على الاوضاع الفاسدة، فقد كان شعوره بالعزلة وبكثرة العسف الواقع عليه وبالمكابدة التفسية المتأنية عن احتقار الترك له، كل ذلك كان يؤجج في نفسه الشعور بعزة الأمة و كرامتها و عظمتها، لامن خلال نفس الشاعر أو واقع أمته ولكن من خلال ماضيها الحافل بالامجاد و البطولات و الفتوحات، فاذا هذا كله يصير في يد الشاعر للتغني والاحتفال بتلك الآمجاد[٦٠].

---

(٥٩) الحمدانى، سالم أحمد، الأدب العرب الحديث. ص٣٣.

(٦٠) الحمداني، المصدرنفسه. ص ٣٤-٣٦.

غرض الاعتزاذ بالماضي:

ويظهر أن الاعتزاز بماضي الأجداد قد أججه ماكان يبدو من صراع، والذي بدت بوادره تظهر ببروزالنزعة القومية العربية، فأخذ الشاعر العراقي يتغني بفروبه الأجداد ومفاخرهم و يفاخر بما ثرهم ووقائعهم [٦١].

غرض شكوى الزمان:

وقد عبر شاعر القرن التاسع عشر عن ألمه الشديد حين يئس من تحسن الاوضاع فراح يشكو الزمان ويلقي اللوم على الدهر الذي يحارب الانسان بلا هؤادة ولاشك أن هذا الأنين، يمثل صحوة مبكرة انتهت فيما بعد الى صرخة توجيع الحس القومي لشاعر هذا القرن، كما أنها تؤكد أن هذا الشاعر بدأ يتململ من سباته الطويل الذي عطل كل امكاناته الشعورية على مدى عدة قرون ولقد راح شعراء القرن التاسع عشر الى أبعد من ذلك حين صوروا فساد الحكم، وظلم الولاة، وماجره ذلك من ويلات على البلاد [٦٢].

غرض الشعر الاجتماعي:

من الموضوعات الرئيسية التي عالجها شعراء للقرن التاسع عشر، الشعر الاجتماعي، وفي مقدمتها، وصف مجالس الخمرة ووصف الاسمار و بعض الموضوعات الفردية والعامة. والواقع ان الشعر الاجتماعي في القرن التاسع عشر، لم يصل كالشعر السياسي في مستوى نضوجه الفكري، وفي صدق بعض جوانبه، اذلم تكن هناك عوامل تؤججه. وتمنح الشاعر مادة لتجاربه الاجتماعية، فالمجتمع كان جاهلا متخلفاً و قانعاً صبوراً.

وكان الشاعر نفسه يفقد بعض عناصر الموقف الشعري وتجربته الصادقة، وهو حرية الفرد والحرية العامة.وما يقظتة القومية والسياسية التي رأينا وجهها الايجابي عند بعض الشعراء الانتيجة لظهور المفاهيم القومية والنزعات السياسية التي وصل بعضها الى اسماع الشاعر، ونتيجة العسف والضغط الذي وقع على الناس واستنفر مشاعر بعض الشعراء.

---

(٦١) ينظر الشعر العراقي أهدافه و خصائصه. ص١٣٩-١٤٥.

(٦٢) الحمداني، سالم أحمد، الأدب العرب الحديث. ص٣٦.

أما المجتمع فقد ظلت مظاهرة المتخلفة على ماهي عليه واحتفظ كثير منها بسيطرته على الناس ومنهم الشعراء كالموقف من المرأة، ومن الطبقية ومن الحرية، ومن التكامل الاجتماعي وعلاقاته.لذلك اقتصرالشعر الاجتماعي العراق في ذلك القرن على الموضوعات التقليدية، ولم يخرج الشاعر على معانيها القديمة [٦٣].

غرض الخمرة:

ومن هنا فقد (غدت الخمرة أداة لتزجية الوقت واضاعتة، وأجملها مايكون مع الاصدقاء الذين انصرفوا الى ملاذهم الجسدية، وقد كانوا يختارون المجالس الشراب خير الندمان، وأجمل الغلمان و النساء) [٦٤].

غرض الغزل:

اما الغزل فقد ارتبط بالخمر، ولم تكن صورة التجربة فيه أحسن حالاً من صورته في الخمرة، اذ لم يعبر عن تجربة شعورية صادقة، بسبب غياب الحوافز الاجتماعية نفسها، لبعد عن أجوائه، وتبلد في شعوره به.

ولذلك فان قصائد الغزل لم تحقق شيئاً يذكر في مجال التجربة الشعورية والتجربة الفنية، لان الشاعر قد اتكا على المعانى القديمة وشوهها، وأسف في استخدامها ولانه لم يعش التجربة كما عاشها الشاعر القديم نفسه ومن هنا جاءت أوضافة مادية حسية، وصوره جاهزة مباشرة، لاتتعدى الحس الظاهر، ولاتفور الى اعماق الشعور، لان الشعور نفسه قد تبلد كما قلنا، وربما تمثل أبيات الشاعر حيدر الحلي هذه الصورة حيث يقول:

اغراض اخرى:

وهناك موضوعات أخرى حاول الشاعرأن يعبر عنها، ولكن تعبيره جاء باردأ لان لم يمتلك أساسأ صدق الانفعال بها، كوصف الترام والتلغراف وأسلاك الكهرباء والباخرة وانشاء السدود وفتح الترع واحياء الانهر واقامة الجسور وامثالها.

---

(٦٣) الحمداني، سالم احمد، الأدب العربي الحديث. ص٣٨.

(٦٤) الشعر العراقي. ص١٦٢.

لقد دعا الشعراء:

وقد دعا كل منها الى وحدة الامة العربية، ومقاومة الاحتلال ومقارعة الظلم واستمد من تاريخ أمته العربية وتراثها، ما أعانه على بناء القصيدة وأثرى معانيه بمادتها.اما عنصر البيئة، فهو أشد العناصر تأثيراً وأكثرهم صلة، لانها أمدت. كلا من الشاعرين بالتجارب الواقعية و الموضوعات التجديدة، سواء منها مايتعلق بطبيعة الارض التي تغني بها الشعراء وصفاً جميلاً واعجابا شديداً، أو مايتصل بالبيئة السياسية التي امدتهم بالموضوعات الفنية والمعاني الجديدة و التجارب الصادقة، أوماله صلة بالبيئة الاجتماعية التي وقف كل يرصدها بدقة الملاحظة، ويعبر عنها بعمق التجربة أوبالصلات الانسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض، وماينم عن ذلك من موافق الشاعر تحاهها، كمواقفه من الغني والفقر، الفوارق الطبقية والدينية. ولم يكن عنصر الثقافة أقل شأنأ في شاعرية وربماكان للثقافة اللغوية والادبية الدور الفاعل في هذه الشعراء وكذلك كان شأن الثقافة الدينية [٦٥].

أدب العراق:

الحركة القومية والشعر قبل الحرب العالمية الثانية:

لقد عبر الشعر العربي في العراق عن حالة الرفض الشامل لسياسة الاستعباد والاذلال وقد رفع الشعراء أصواتهم في التنديد خاصة في المراحل الاخيرة من حكمهم والتنجيد بالعرب من أبرزهم الزهاوي والكا ظمي و الشبيبي يقول الزهاوي منددا بالسلطان العثماني وهو في الاستانة: .

ألافا تنسبه لـلآمر حتى م تغفل أما علمتك الحال ماكانت تجهل

اغث بلدا منها نشأت فقد عدت عليها عواد للدمار تـعجـل [٦٦].

وعلى الرغم من استبشار العراقين بالمحاولات الآصلاحية التى عبرغنها الدستور العثماني عام ١٩٠٨حيث عبر الكثير من شعراء العراق عن غبطتهم وفرحهم لما سيحققه الدستور من عدالة

(٦٥) الحمداني، سالم أحمد، الادب العرب الحديث. ص ٧٦-٧٧.

(٦٦) نجم، محمد يوسف، ديوان جميل صدقي الزهاوي، الكلم المنظوم، جمع وتحقيق لرباعيات، ج١، ١٩٥٥م. ص٧-٨.

وحرية اجتماعية فانطلقت القصائد ذات الروح المتفائلة بمستقبل العراق في ظل الدولة العثمانية وفي ذلك يقوم محمد رضا الشبيبي: -

طـرقت وضاحية النهار دجنة والــحر عـبدوالـدنى أملاك

فأضاء عنها البرق ينبض عرقة سلـكا عليه حلى السى أسلاك

ضحك المحيط لوقعها وتبسمت عـن ثغر أنجمهـا لها الافـلاك [٦٧].

وهكذا كان لحكم (الاستانة) تأثيرمباشر على العرب، فارتفعت أحاسيسهم تعبر عنها قصائد الشعراء يروح قومية وثابة في الاعتزاز بالامة وبلغتها.

فاخذ شعراء العراق يرسلون قصائدهم الى مصر، وهي تطمنع بالثورة وتفيض بالسخط على الحالة العامة في البلاد.لان تجاهل العرب، وانكار قوتهم والتعاضي عن مكاتنهم، تجاوز دائرة اهمالهم في المشاركة في حكم البلاد، الى تهديد كيا نهم والقضاء عليهم وعلى قيمهم العربية الاصلية.فادى الامرالى بلورة الوعي العربي والتحفز لانقاذ شخصيتهم لانهم أحسوا بالخطر الداهم [٦٨].

الأدب في العراق

الشعرالعراقي قبل اعلان الدستور العثماني:

لمحة تأريخية:

ظل العراق طيلة العهد العثماني بعيدا عن اسباب التقدم والنهوض تنسا به علة مختلفة منها الامية والفقر والامراضى واضراب حبل الأمن. ان عهدا من عهود الحكم العثماني اتسم بالصلاح، وظهرت فيه بوا درنهضة تشبه تلك التي حدثت في مصر على اثر غزو الفرنسيين، وتولى سلطانها من قبل الوالى ((محمد على الكبير)) الاان هذا العهد لم يدم طويلا.

فقد تسلم ولاية العراق عام ١٨٦٩ ((مدحت باشا)) وهو وال مثقف قدير، يختلف عن الولاة العثمانيين من قبله، جال في بلاد الغرب وشاهد ماتفعل الحكومات المستحضرة في سبيل اسعاد شعوبها، فكان له من ذلك دوافع الى اصلاح البلاد التي تقع تحت ولايته.

---

(٦٧) ديوان الشبيبي. طبعة مصر، مصر، ١٩٤٠م. ص٥٢.

(٦٨) عذالدين، يوسف، في الادب العربي الحديث، دارالبصري بغداد، بغداد، ١٩٦٧م. ص١٢٤.

تولى حكم العراق فنثر الأمن، ونظم دوائر الولاية، فأسس دائرة للمعارف، و دائرة للنفوس، ودائرة للطابو، ودائرة للبلديات، وشرع التجنيد الاجباري، وفتح المدرسة الرشيدية العسكرية، والرشدية الملكية، والمدرسة الحميدية، ومدرسة الصنائع، وجلب أول مطبعة، وكانت تدعى بمطبعة، (الولاية) ونشر أول صحيفة، وكانت تسمى (الزوراء) وجلب الآلات الصناعية من اوروبا فشاد المعامل الحربية، ومعملا لنسيج البسة الجنود، وراغب في الخطوط الحديدية، وسهى في انشاء الشركات التجارية.

هدم اسوار العاصمة فوسع من حدودها، وثاد فيها جملة دورللحكومة، كما (سسس مدينتى الناصرية والرمادي)[٦٩].

أساليب الشعر:

كانت اساليب الشعر في العراق قبيل اعلان الدستورالعثمانى سنة ١٩٠٨م تشبه اساليبه في البلاد العربية الاخرى طيلة عهود الفترة وقد طفت المحسنات اللفظية على معانيه، اما بناء القصيدة، فقد ظل البدء بالغزل اوبذكراطلال شيئاً مفروضا في سائر الاغراض، كما ان التخلص الى القصد بوجه من وجوه التحائيل، ثم ختام القصيدة بالدعاء للممدوح او الاعتذار منه ظلا كما كانا في سابق العهود. أما معانيه وأخيلته فكانت تكرارا المعانى الشعراء الا قدمين في جملة اغراض الشعر، فان جد شئ يكون في وصف حالة قائمة او في استعراض الحدث طارئ فان الوصف يكون بنفس الروح التقليدية السابقة. ولكن الاساليب تحسنت بعض التحسن قبيل الدستورعما كانت عليه بظهورالسيد حيدرالحلى والسيد محمد سعيد الحبوبى وعبدالحميد الثلوى، وارصافي والزهاوي .وقد كان شعر همذين الآخيرين في ذلك العهد بمثابة البشاثر المؤذنة بما سيصيب الشعر من تحسن وتحول. ومع ذلك فان الطابع العام للشعر في عهود الفترة ظل مهيمنا على الاثار الشعرية في العراق الى عهد قريب[٧٠].

الشعر بعد اعلان الدستور العثماني:

لقد طرأ على الشعر في العراق عقب اعلان الدستور العثماني عوامل نوعت من اغراضه وبدلت من اتجاهاته:

---

(٦٩) سعيد، جميل، تأريخ الأدب العربي الحديث، ص١٣٥-١٣٦.

(٧٠) سعيد، المصدرنفسه.ص١٣٨-١٣٩.

فبعد أن كانت أغراض الشعر مقصورة عادة على المديح والرثاء والغزل والوصف والهجاء والحماسة وما الى هذاعادت له أغراض أخرى في السياسية والأدب والتربية والأجتماع، والوصف لما جد من مخترعات.

وبعد أن كانت عباراته تحفل بالزخرفة اللفظية، والفنون البديعية، وبالجرى على منوال الاقدمين في بناء القصيدة، اصبحت عباراته تنتزع الى التحرر من تلك القيود، وتطلب الجدة والابداع فيما تريد له من معان واغراض.

وعوامل هذا التعبير أما سياسية ترجع الى تيقظ الشعب عقب اعلان الدستور العثماني، واعتزازة بقومية، واما ثقافية مردها الى ازدياد التعليم وائنشار اسباب الثقافية بين الشعراء ووقوفهم على الاثار الشعرية الحديثة لشعراء سوريا و مصر.

وعلى ان الشعر العراقي الحديث لا يختلف اختلافا كثيرا عن الشعر في كل من مصر و سوريا فان له بعض الميزات منها طفيان الناحية السياسية فيه على غيرها من اغراض الشعر، ذلك لأن النهطة الادبية في العراق وليدة نهضة سياسية قومية، ومنها بقاؤه ادنى الى الاساليب العربية من غيره.

اما معانيه واغراضه واخيلته فانها وان تجددت وتنوعت لم تبلغ ما بلغه الشعر في مصر وفي سوريا و يرجع ذلك الى ثقافة الشعراء في هذه الاقطار.فقد كان الكثير منهم يحسى اللفات الغربية ويتابع التطورات الشعرية فيها، وليس الشاعر العراقي كذلك، فانه ـ على الاكثر ابن لفته وان تعداها فالى التركية والفارسية.

وعلى هذا فمصادر ثقافته الشعرية لاتخرج عن دواوين الا قدمين من شعراء العربية، اوالمحرثين من شعراء سورية ومصر.

ولهذا يتسم الاسلوب العراقي الحديث بطابع الفصحى على حين اخذ يبعد غيره بعض البعد عن هذا الطابع.

تلك العوامل التى قدمنا كان لها شأن كبير في تحرر الشعر العراقى وفي اتخاذه اغراضا وسبلاماكان يسلكها من قبل فتمخض عن الشعر السياسي، واجتماعي والتعليمي والوصفي [٧١].

(٧١) سعيد، جميل، تأريخ الأدب العربى الحديث. ص ١٦٠-١٦١.

المطلب الثاني: مظاهر الحداثة في الشعر العراقي

بواكبر التجديد في الشعر العربي الحديث:

ودع القرن التاسع عشر أعوامه، والشعر العربي في العراق يبرز تحت القديم شكلاً و مضمونا، فهو ذو شطرين، ولايكاد يخرج عن ذلك إلا فيما نظم الشعراء من موشحات كانت صدى للموشحات الأقدمين، ولا تكاد مضامينه تتعدى المديح والرثاء والتهاني والاخوانيات، وما كان يشيع من شعر في مدح الرسول (صلئ الله عليه وسلَّم) وبكاء آله الطيبين الأبرار. وما ان بدأت تهب على العراق نهضة مصر و ثقافة الغرب، حتى بدأ الشعراء يتلمسون طريقهم نحو التجديد يعبر عن وجدانهم ومشاعرهم والواقع الذي كانوا فيه يحيون، وبرز شعراء كان لهم دور في النهضة العربية الحديثة والدعوة الى التجديد والسمو بالشعر الى أفاق ريبة ليسبح في أجوائها الشعراء محلقين و مبدعين. وكان جميل صدقي الزهاوي ١٨٦٣ ـ١٩٣٦ م من أوائل الدعاة الى التجديد و حاملي لوائه وهو عنده .((أن ينظم الشاعر عن شعور عصري صادق يختلج في نفسه لاعن تقليد، وذلك ماكان يفعله شعراء الجاهلية، وإن كان شعورهم محدوداً، فالجديد موجود في التقديم والحديث إذا لم يسبق اليه أحد)) و((الجديد هو أحسن ما تنزع اليه النفس الوثابة ولولم يتجسد الليل والنهار لملهما الناظر: ولاأريد بالتجديد ان يقلد الشاعر العربي شعراء القرن في شعورهم فأنَّ لكل أمه شعوراً خاصاً بها لاتحس به أمة أخرى كالموسيقى))[٧٢]

((ووضع ميزانا للجديد والقديم، يقول)) وليكن ميزان الجديد هو ماهز النفوس، وغير عن الشعور وميزان القديم كل ما محبه السمع وعافته النفس مما لاعلاقة له بالشعور:

((ويتكلم على النزعة الجديدة ومصدرها فيقول)) أما النزعة الجديدة وهي بالإجمال الرجوع عن التقليد الى الشعور، فقد جاءت من الغرب في أردانها كل مايمس النفس ويهيج فيها الإحساس، أويصور الطبيعة وهي اليوم تنازع القديم البقاء وقد ظهرت عليه في المهجر، وكانت تظهر في مصر، وهي في بغداد تصارعه صراع الواثق بقوته ((ولكنه لايرى كل قديم قديماً، يقول)) ولايفهم من قسمتي الأدب الى قديم وجديد أنى أحسب كل ماقيل في الازمنة الفابرة قديماً وكل ما قيل في هذا العصر جديداً، فأن ماقيل في تلك الازمنة ما هو جديد في كل عصر غير أنه كدرة

(٧٢) مطلوب، احمد، في الشعر العربي الحديث. ص٧.

ضائعة بين زكام القديم، ومن هنا تعلم أني لا أنظر الى القديم والجديد من حيث الزمان بل أنضر اليهما من حيث النزعة والاعتبارات التي ذكرتها [٧٣].

ويقول: الزهاوي

وإنى على شيـخوفتي وزمانـتي أريد بشعري في الحياة التجديدا

ولاخير في شعر مضى اليوم عهده وفــي شاعــرإن قـال قـال مقلداً

وما شاعر العصر الجديد سوى الذي على دولـة الشعر القديم تمردا [٧٤]

فالتجديد عنده ليس تقليداً لشعرالعرب القدماء أو الغربيين، يقول: ((أما التقليد فهو ذميم سواء كان تقليداً لشعراء العرب الأقد مين أولشعراء الغرب المحدثين)) .

كان لدعوة الشعراء الى التجديد واتساع مفهوم الشعر أثر في توجه الشعر، ويتجلى ذلك في الشكل والمضمون.

أما الشكل فيتصل ببناء القصيدة وأوزانها و قوافيها، وكانت وحدة القصيدة مما لفت نظر الشعراء العصريين، وإن كانت الدعوة الى وحدة القصيدة قديمة في النقدالعربي، ولكنها لم تأخذ أبعادها، إذظلت تنهج نهجا واحداً في القالب فهي تبدأ بالأطلال أو بالغزل، ثم وصف الراحلة ثم التخلص الى الغرض، ولكن المصريين الذين هبت عليهم نسمات التجديد أخذوا يدعون الى تجديد، ولعل جماعة الديوان في مصر أول من دعا الى ان تكون القصيدة عملاً فنياً يكمل في تصوير خاطرأوخواطر متجانسة، فهي كالجسم الحي الذي ينمو طبيعياً حتى يكتمل [٧٥].

وأدراك رواد الشعر العراقي الحديث هذا المعنى، ولكنهم لم يأخذوا بالوحدة أول الآمر إلاقليلاً، وأنكرها بعضهم، كالزهاوي الذي نعى على الشعراء العصريين عدم اكتمال القصيدة الواحدة على مطالب مختلفة، يقول ((ومن الشعراء من لايجوزان نشتمل القصيدة الواحدة على مطالب مختلفة كانه يفضل أن تكون الروضة قد أنبتت شكلاً واحداً من الزهر فقط، ولكني لا أرى رأيه، وأيه لوم على من أطال قصيدته و جعلها في مطالب مختلفة تربط بعضها ببعض مناسبات بينها

(٧٣) مجلة الاصابة، العدد (٥) . ص (٣٦) ، وينظر العدد (٤) . ص (٣٠) ، الأول من تشرين الاول، ١٩٢٦م.

(٧٤) ديوان، الزهاوي، ص٢٦.

(٧٥) مطلوب، أحمد، المصدر النفسه.ص١٧.

وإن كانت ضعيفة فيتمتع القارئ أوالسامع بألوان مختلفة من الأدب في القصيدة الواحدة على أن يكون بين مطلب و مطلب فاصل.

نعم إن الشاعر إن ابدا يصف عليه ان يستوفي ذلك الوصف ثم ينتقل الى غيره، وكذلك إذا شرع يروي قصة وجب عليه ان لايخرج من الموضوع إلا بعد إعطاته حقه، ولكن ألآمر في غير الوصف والقصص ليس كذللك)) [٧٦].

فالزهاوي يفترق بين لونين من الشعر، الشعر الوجداني وهو ما لايحتاج الى و حدة عضوية وشعر الوصف والقصص، وهو مايحتاج الى تتابع يكمل فيه الوصف وتصل القصة الى غايتها. فهو لاينفي الوحدة كل النفني، وانما يخص ألوان القصيد ويوجب الترابط بين مطالب القصيدة يخص بها بعض ألوان القصيدة ويوجب الترابط بين مطالب القصيدة الواحدة، يقول ((وللشاعر أن يجمع في بعض قصيدة أكثرمن مطلب بشرط أن يكون بين مطالب صلة تربط حلقاتها المتهددة، وأحسب أن هذا أقرب الى طبيعة التفكير أوالإحساس، فانهما لايأتيان إلا في صورة أمواج هي فورات النفس اوثوراته يستقل كل منها عن الأخرى وتكون القصيدة حينئذ أشبه بباقة من مختلف الأزهارمع تناسق في ألوانها)).

وظهرت دعوة الى تحرير القصدة من القافية (الموحدة كل التحرر، وظهر لون من اشعر سمي) ((اشعر المرسل)). وهو نظم يلتزم الشاعر فيه فيه بالبيت ذي الشطرين ولا يلتزم بالقافية، وكان الزهاوي من أول الدعاة اليه في العراق، وادعي أنه هو الذي استحدثه في الشعر العربي [٧٧].

التراث والمعاصرة:

لقد استوعب رواد الشعر الجديد في العراق، التراث استيعابا عصريا وحضاريا تجاوز الفهم المباشر للأحداث واخذ هذا الوعي دلالات مختلفة عبر قنوات عديدة تصب في مجرى الوعي القومي الجديد وقد سبق التطور في النظرة الى التراث حركة احياء واسعة على صعيد الوطن العربي على يد محمود سامي البارودي ومن بعده طه حسين والمازني والعقاد في دراساتهمم و بحوثهم....

لكن شعراء الجيل الجديد نظروا الى التراث من بعد مناسب وتمثلوه جوهرا ومواقف وهم في خروجهم على الاطار الشكلي للشعر القديم، لم يكونوا بذلك يحطمون التراث بل كانوا يحطون

(٧٦) سحر الشعر.ص٦٨.

(٧٧) الأدب الرفيع. ص١١.

شكلا قد تجمد ومن يوم ان يتطور و يتجدد. ...فليس الشكل هوزوح التراث وان ارتبط به في يوم من الايام. .....ويصعب ان يكون للتراث فعالية حقيقية في زمان غير زمانه إذا الشكل وحده هو كل ما يمكن ان يستفاد منه. وانما الشيء الباقي الفعال في اي تراث هو قيمته الروحية والانسانية الكامنة فيه، اي قيمه المعنوية [٧٨]. لقد ارتبط شعراء الجيل الجديد بالتراث ارتباطا صادقا و مخلصا واستلموا ابعاده القومية وانسانية.... وقدموا نماذج شعرية حية ذات قيم فنية كبيرة.. كما استخرج الشاعر المواقف التى لها صفة الديمومة في هذاالتراث ((سواء كانت هذه الصفة لازمة للموقف القديم أم مضافة من قبل الشاعر)). ان مصادر التراث في الشعر العراقي تتوزع بين ((القرأن الكريم، والمواقف التاريخية، والشخصيات الانسانية والتراث الشعبي والمرويات الاسطورية)) .

وفي زمن التجزئة والتخلف والاحتلال، يرحل الشاعر الى منابع الالهام العربي الاسلامي ليعينه على مواجهة واقعة المظلم....فالشاعر ينتهي الى امة ذات حضارة عظيمة وهي ارض الديانات السماوية ومهد الحضارات الانسانية [٧٩].

لقد كان القرأن الكريم وما احتواه من قصص ذات دلالات ثورية في الدعوة الى الرسالة الاسلامية، مواجهة الظلال والكفر بالاعتماد على النفس والعقيدة. ..كان لهذا الرمز العظيم وقعة في ذات الشاعر الذى يعاني من واقع الظلم والتمزق والضياع. ..انظر الى شاذل طاقة وهو يحس بواقع شعبه، كيف استحضر((ايوب)) في لحظات توتر نفسى وألم، فيقول وهو يهدي قصيدته الى زميله السياب [٨٠].

ظــل أيــوب المــدمى يــمنــي

نـفسه والـموت يــستــل نـبضه

والسماء الـحزينة، تـزرع أرضه

مطر يغسل النهر، يبكي. .يـغـني

والـعــذارى الهـلوعــات تــموز

(٧٨) السامرائي، ماجد أحمد، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث، دارالحرية بغداد، العراق، ١٩٨٣م. ص١٩٢.

(٧٩) السامرائي، المصدر نفسه. ص١٩٣-١٩٤.

(٨٠) المجموعة الشعرية الكاملة. ص٣٧٣.

لـيـــت سـمـــــــــــانـــــــا

تـستـجـيـب دعـانـــا وتـــشـفـي أبـــانـــا [٨١]

الشعر العراقي والكلاسيكية الجديدة:

ان نظرة فاحصة على (خارطة) الشعرالعربي عبر العصورتؤكد أن العراق يمثل(بؤرة) تكشفت فيها أصوات الشعراء على مر تاريخ الحركة الشعرية العربية، وكل الولائل تشير الى انه سيبقى محتفظا بها لفترات تاريخية قادمة.

إذا ما تعرفنا على الحركة الشعرية العربية منذ منتصف القرن الماضي فنجد ان الشعراء العراقيين حملوا راية الشعر العربي الملتزم بهموم الوطن والامة ولم يخفضوها بالرغم من غست سلطات الاحتلال العثمانية ثم الانكليز فيها بعد، وظلت هذه الراية مرتفعة في عهد الحكم الملكي منذ عشرينات هذا القرن، ذلك الحكم الذي ارتبط بشكل أو بأخر سلطات الاحتلال الانكليزي التي مهدت لقيامه لقد كانت أصوات الشعراء العراقيين أنذاك تمثل صرخات احتجاج وادانة لذلك الحكم ووسيلة تحريض للانقضاض عليه تمهدأ لاقامة حكم وطني. فلا عجبب ان نجد شعراء نا أنذاك يتعرضون لصنوف الاضتهاد والملاحقة والزج في السجون من جراء موقفهم الملتزم بقضايا الشعب والوطن. واللشعراء العراقيون عموماً ظلوا يوارزنون يبن التزامهم الوطني والقومي والتزامهم الفني بالرغم من بعض الفترات التي ساد فيها الترهل والافتعال والتقليد، وكانت لاتشكل سوى حالات نكوص مؤقتة سرعان ماتزول ليعود الشاعر العراقي ممتلكأ زمام، الأمرضمن موقفه الوطني والفني وهكذا ظل الشعر العراقي يمتلك عنفوانه وعطاءه اكثر وان ظل حتى منتصف هذا القرن متساوياً مع الصيغة الكلاسيكية الموروثة بالرغم من نهوضة أحياناً بحركات تجديدية محدودة من خلال كلاسيكية العمود الشعري كانت بنقلة كبيرة قدرها لها ان تتألف في أواخر الآر بعينات من هذا القرن [٨٢].

محمد الجواهري والكلاسيكية الجديدة:

مرحلة التقليد: لابد للدراسة ـ وهي ترصد خط التطور الفني للشعر العراقي الحديث ـ من ان تقف وقفة منها متأنية عند ظاهرة متميزة في هذا الشعر، تمثل قمة من قمم تطوره. تلك الظاهرة

(٨١) أشارة الى اسطورة تموز التي استخدمها السياب في قصائده.

(٨٢) الجبّوري، منذِر، شعراء عراقيون، الجمهورية العراقية وزارة للإعلام، ط١، العراقية، ١٩٧٧م. ص٥.

التي يمكن ان نطلق عليها مصطلح الكلاسكيية الجديدة متمثلة في محمد مهدي الجواهري الشاعر الذي مايزال يقول الشعر منذ أكثر من نصف قرن، ومازال جمهوره كبيرا، ينتظر منه المذيد. لقد ذاعت شهرة الجواهري ذيوعا كبيرا، لاسيما بعد الحرب الثاني وبعد ان وصل صوته الى ساحة الشعر في الوطن العربي كلها، واقترن اسمه بتاريخ العراق السياسي الحديث، حتى عد بعظهم شعره وكأنه يصور هذا التاريخ ((فيما يشبه المأساة الاعز يقسية)).[٨٣] الا أننا، من وجهة النظر التقدية، نجد في أغلب الأحكام التي قيلت في شعر تطرفا مع الشاعر او ضده، وتناقضا أحيانا، ومبالغة. وعده أخرون شاعرا تقليديا يحسن فن النظم [٨٤]. وبالغ أخرون مقدرين ان الجواهري أكبر من ان يدرس. بينما ذهب بعضهم الى ان للشاعر ((نمطا جواهريا جرى في طريقة أدبية خاصة، فوجدت قبولاو استحسانا من جمهورية المتأدبين)) وانتهي أخرون الى ((أنه شاعر عباسي أخطأه الزمن. ..وجوده في القرن العشرين يمثل ظاهرة غريبة)) [٨٥]. ونحن نعتقد أن دراسة حرفية الشاعرونسيجه مسألة هامة في اصدار احكام نهائية على شعره، وعلى تيار الشعر الكلاسي. وبالرغم من ايماننا بأن تطبيق خصائص التيار الكلاسى الاوروبي بتفاصيلة على الشعر العربي، محاولة غير مأمونة النتائج.لأن ((كلاسية الشعر العربي تختلف في نواح عديدة عن كلاسية الشعر العربي، وإن التفقت معها في جوهر الاتجاه و حلاصية طبعته)) [٨٦].

لكن ذلك لايمنع من ان نجد في هذا الشعر تمثل بعض الخصائص الكلاسية العامة تمشيلا واضحا، كاحتذاء النماذج المشهورة في الشعر القديم والاهتمام بالجانب العقلى مما يغرلنا ظاهرة الحكمة، والحاج على التفاصيل العامة والجزئيات، والتعبير ـ أحيائا ـ عن معاني الجمال، والحرص على الحقيقة والتعبير عنها في كثير من الاحيان، يضاف الى ذلك بروز سمات معينة: كالا نفصام مابين الشكل والمضمون في قصيدة والا عتماد على وحدة البيت والقافية والوزن، واهتمام الخاص بالجنزالة في التركيب ولعناية بالمفردة.

(٨٣) علوان، على عباس، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، منشورات الاعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٧٥م. ص ٢٥٧.

(٨٤) صالح، مدني، الأدب المتكامل والشعرعند العرب، مجلة الأدب، بيروت، العدد الأول، ١٩٦٨م. ص١٠٤.

(٨٥) الخياط، جلال، الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور. ص١٠٥.

(٨٦) القلما وي، سمير، متى ندرس شوقي، مجلة المحلة العدد ١٤٤ ديسمبر ١٩٦٨م.

مخيلة شاعر القرن:

ان مما يوضع طبيعية صور الشاعر ومدى نضجها التعريف الى مخيلته ونوعها، ولقد وجدنا، بعد تأمل شعراء القرن التاسع عشرو دواو ينهم انه يمكننا وصف مخيلة الشاعر بـ (الصناعية) و(التزينية) وهي سمة المخيلة التيار الكلاسى عام، ١٠٠ومن هنا يمكن ان يوصف اصحابها بالهرة والحذاق المتمرسين الماهرين، ولا شك ان تلك الصفة عام، واطار واسع يجمع معضم شعراء العربية كبيرهم وصغيرهم ولذا يصيح ان سيمى مخيلة شاعر القرن التاسع عشر بأنها (صناعية غير ماهرة) تبدد في اضعف اشكالها وفي اسوأدرجاتها قدرة على التركيب والتجديد، والنتيجة النهائية لهذا النوع من المخيلة انما تقديم عادة الصورة التزيينية. وهي في رأى هنري ويلز، أكثر الاشكال فجاجة من الناحية الجمالية [٨٧].

وهكذا يحرص الشاعر على تزيين صوره. فمرة بالألوان على حدة ومرة بالحركة ومرة بالنتائج النهائية التي يقصدها وبالرغم من هذه المبالغات المجة وتكرارها الشاعر لذوق القرون المظلمة في صفات المرأة ومثشبهاتها، وما يمكن ان تمثله هذه الزخرفة في طباق البيت الأول (الصبح ـ ليل) (ليل ـ نهار) فان ما يهمناا في ذلك كله علاقات الصور اولا، ومما تلاثها ثانيا. فالعلاقات بين حدود الصورظلت منفصلة كما هي، ثابتة لاتؤثر إحداها بالاخرى اطلاقا. وكأنه ليس من حلة بين صورة وأخرى في نسيج موحد. وبذلك فقدت هذه الصور الجزئية حيويتها واتسمت بالجمود وفقدت القدرة على التشكل و التركيب مع غيرها [٨٨].

في الشعر:

كان الشعر في التراث العالمي القديم هو الفن الاوح، تجلى في ملامح هو ميروس وهسيودوس، وسيطر على الشاهنامة والمهابهاراتا. ثم صيغت به بعض الفنون الدراسية اليونانية. وتفنت به سافو وانشده نيوكريتوس. ثم مالبث ان سيطر على الوجدان العربي والذاكرة العربية، فصبروا شعر عن واقع حياتهم في العصور الاولى وحتى الا عصر المتاخرة: والمسرحية والقصة القصيرة، وغلبة هذه الفنون الادبية على الانتاج الذي صدر، فان العراق رأى ان يعبر من خلال الشعر و بواسطته عن المرحلة الحضارية، وعن هموم ابنائه، وعن تجارب شعرائه [٨٩].

---

(٨٧) علوان، على عباس، تطورات الشعر العربى الحديث في العراق. ص٤٤.

(٨٨) علوان، المصدر نفسه: ص٤٥.

(٨٩) النساج، سيد حامد، أدب التحدي السياسي في المغرب، دار الراي بيروت، بيروت. ص٨٣.

الفصل الثاني: الجواهري بين الشعر وأساسية: تتكون من المبحثين

المبحث الأول: الواقع السياسي في عهد الجواهري

المطلب الأول: ثيمات الأدب في عهد الجواهري

الشعر الرسمي:

لعله من المفيد في دراسة الشعر السياسي ان تنعرف على بداية ظهوره، وتطوره في الادب العربي. فاذا كان الشعر السياسي هو ذلك الشعر الذي يتصل بكيان الدولة ونفسه مما و علاقاتها الخارجية فأنه ظهر في الادب العربي مع ظهور الدولة الدولة الاسلامية، ولكن هناك من يرى ان الشعر العربي اتصل (بالسياسة منذ العصر الجاهلي أومنذ وجود القبلية العربية التي تعد الصورة المصغرة للدولة) [٩٠]. وعلى هذا الأساس يعد الشعر القبلي في الجاهلية شعرأسياسيا أوصورة أولية للشعر السياسي، ثم تطور هذا الشعر واتضحت صورته حين قامت الدولة الأسلامية التي أحتضنت القبائل المتعددة، ونقلتها من افق ضيق الى أفق واسع حدوده حدود الدولة الاسلامية. كلها، فصار الشعر السياسي يساير النظام الجديد ويسنده، وظل شعرالسياسية ينموحتى ازدهر في العصر الاموي سبب طبيعة الحياة السياسي في هذا العصر، فقد كان لنشوء الاحزاب السياسة وتعددها، وقيام الصراع الضيف بينها، ثم لكثرة المنازعات بين القبائل والزعماء، كان لذلك كله أثركبير في ازدهار الشعرالسياسى في العصرالمذكور، حيث كان االشعراء يجدون مادة عزيزة يعتمدون عليها، ويقولون الشعر فيها. وقامت الدولة العباسية، فتغيرت طبيعة الحياة السياسية، وتلونت بألوان جديدة فقد كان هناك العلويون الناقمون على العباسين وهناك العنصر الفارسي الذي كان ينمو نفوذه وينشط ويزداد خطره على الدولة لأنه كان يسمى يطرق مختلفة الى بعث امجاده الغابرة، ثم جاءت عناصر أخرى اثرت في الدولة وتحكمت بها، كالاتراك والبويهين واسلاجقة. والذي نريد أن نقوله ان الحكم العباسى تأثر بانظمة الحكم الاجنبية ولاسيما نظام الحكم الفارسي القديم، فصارحكم شي العباسي حكما استبداديا مطلقا يستند الى نظرية الحق الالهمي في الحكم. فكان على الشعر السياسي ان يتلون تلبون الحياة السياسية الجديدة. ومن المعلوم ان الدولة العباسية لم تحافظ على وحدتها وتما سكنها زمنا طويلا، فقد الخل عقدها وظهرت وحدات سياسية مستقلة متنافسته فيها بينها، فصارت تجتذب اليها الشعراء، والخلفاء يحتفنهم لشراء السنتهم، وسخرها في ميدان السياسية والتنافس السياسي، وكان

(٩٠) الشايب، أحمد، تأريخ الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، مصر، ١٩٦٣ م. ص٤.

من نتائجه، ان أكثرالشعراء من الذين يفشون مجالس الخلفاء والملوك والحكام مادحين مستجدين، فامتلأت دواوينهم مدحاً [٩١].

الشعر السياسي:

لقد كان للأحداث السيا سية وتطورها في البلاد العربية منذ اعلان الدستور العثمانى اثر كبير في خلق الشعر السياسي بصورته الجديدة نعم: ان هذا اللون من اشهر لم يكن حديث الوجود فقد كان في صدر الاسلام، وكان الرسول الكريم بسمعه على لسان شاعره، حسان بن ثابت وغيره من شعراء المسلمين يوم كان النضال على اشده بينه وبين خصومه من القرنين.واستعان به الامويون يوم كان الصراع قائمابينهم وبين العلويين والزبيرين ولكن الفرق بين هذا وذاك أن الاول كان يعمد الى اشارة العواطف الدينية في الناس وبينها يعمد الثاني الى اشارة عواطف دنيوية نتصل بحق هذه الشعوب في الحرية والاستقلال. والتخلص من ربقة الاستعمار [٩٢].

الحالة السياسية في العراق:

كان العراق في القرن التاسع عشر ينقسم الى ثلاث ولايات هي: بغداد و الموصل والبصرة ولكن هذا التقسيم لم يكن مستمرا فيما عدا بغداد ثم استقر في الربع الاخير حتى نهاية الاتراك. ولقد مر على هذه الولايات الثلاث طوران من اطوار الحكم لايفترقان في شيء من خصائصة ولكنهما يختلفان في نوع الحكام وتباينهم من حيث الاجناس والشعوب. فقد كانت بغداد تخضع لحكم امتدادي هو حكم المماليك الذي ابتدأ في منتصف.القرن الثامن عشر ثم انتهي سنة ١٨٣١م وارجعت بغداد الى الحكم التركي المباشر ولكنها لم يحكمها وال عراقي قط. وكانت الموصل تخضع لحكم امتدادي ايضا وهوحكم الاسرة الجليلة الموصلية. ثم انتهي هذا الحكم سنة (١٢٥٠هـ ١٨٣٤م) وأخضمت للحكم التركي المباشر. أما البصرة فقد استقبلت القرن التاسع عشر بموظفين من الممالك تابعين لوالي بغداد وبقيت تابعة بعد نهاية المماليك ثم تحولت الى مركز ولاية سنة (١٢٦٧هـ ١٨٥٠م) ومرت بأطوار مختلفة من الصعود والهبوط في شكل الحكم [٩٣].

---

(٩١) توفيق، عبدالكريم، الشعر العربي في العراق، بغداد مطبعة وزاره الاعلام، بغداد، ١٩٧٦ م. ص٧٣-٧٤.

(٩٢) سعيد، جميل، تاريخ الادب العربي الحديث. ص١٦٢-١٦٣.

(٩٣) الوائلى، إبراهيم، الشعرالسياسي العراقي في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف بغداد، بغداد، ط٢، ١٩٧٨م. ص٣٩.

١. تحدي رجال السلطة والحكاه:

إن طبيعة الجواهري الثائر وجدت في الآوضاع مايزيدها لهيباً وسعاراً فلقد توالت عليه أحداث جسام تنوعت بين مطاردة تتكرر وسجن يعاود وصحيفة تحتجب و مقتل أخ عليه عزيز تلك هي معاناة الجواهري وليس هناك عنصر يفوق أهمية عنصر المعاناة في أثناء اللحظة التكوينية للقصيدة.[٩٤] وقد تهيأ للجواهري أن يودع شعره طاقات إيجابية مكنته من مواجهة السلبيات ومقارعة بواعث التردي على اعتبار أن الظروف التي لا تكون في صالح الجماهير يجب أن يقابلها الشعر النقيض لها أي شعر في صالح الجماهير لاالشعر المساير للسلبيات بنتائجها إذلا يعقل أن يقع الشعر بضمن النتائج للآفعال السلبية المفروضة قسرا لانه لم يكن جزءا منها ولا نتيجة من نتائجها وإنما هو رد فعل ضدها وكل رد فعل للأمور السلبية لايمكن أن يشابه الفعل السلبي ويسايره على اعتبار أن المسايرة ـ في هذه الحالة ـ هي التخدير أو التنويم المغناطيسي وبهذا المفهوم لايعتبر رد فعل بل هو انقياد بينما الشعر الناتج من جراء المؤثرات السلبية يجب ان يكون رد فعل إيجابي ذا أثر فعال. [٩٥] ومن هنا ثنن الجواهري حرباً ضارية على عوامل الفساد مجاهرا برفضه الواقع متطلعاً إلى مستقبل أفضل بديل يكتسح معه مساوئ الحاضر القائم لبناء صرح جديد مشرق وأيقن أن تلك الامال التي تساوره وتساور شعبه لاترى النور إلا بتقويض صروح الطفاة والتصدي الحازم للمستعمرين و مآربهم بيد أن الطريق الى ذلك شاف عسير، وأي مطمح ينقاد لصاحبه بلاثمن ؟

فما أن يليق بمجد النضال ضعيف على نصره يغصبُ

وأن عنداً باسماً يُحبتلى يشق النفوس ولا يوهب [٩٦]

فالا مانى يسوقها من يستهل الصعب ويأتي العظائم:

ومن يتطلب مصعبات مسالك فأيسرشيءٍ عنده المركب الصعب [٩٧]

والجواهري إذ يرينا عزيمة نفسه إنما يرينا صورة للعزيمة المثلي المبتفاة وهي أصلب من الصخر وأعتى من الإعصار وأدمر من الخطوب:

---

(٩٤) القصاب، صبيح ناجي، الشعر بين الواقع والإبداع، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، بغداد، ١٩٧٩م. ص١٠٦.

(٩٥) القصاب، المصدر نفسه: ص٣٢-٣٤.

(٩٦) ديوان الجواهري: ١٦٩/٣.

(٩٧) ديوان الجواهري: ٨٧/١.

ما حطمت جلدي يد النوب لكن تحطمت النوائب بي

قل للخطوب إليك فابتعدي المست بي ضعفا لتقتر بي

أنا صخرة ما إن تخفني هذي الرياح الهوج بالصخب [٩٨]

٢. تحدي الموت:

ومثلما ثار الجواهري على أعداء الجماهير و مناوئي تطلعاتها ثارفي وجه الموت انحيازا منه للحياة التي كانت تنبض في جنبات نفسه على نحو عارم على الرغم من أن الموت حدث مرعب لأنه فناء يستهدف الحياة وسر الصراع بينهما في اساسة يعزى إلى وجود جميل مرغوب فيه يخاف عليه وجليل مرهوب منه يخاف و قوعه. وقد تأكد لديه أن الحياة التي يلفها الخسف ترادف معنى الموت إن لم تكن أشد منه لذعاً لذعا وإيلاما وأن المرء حين يحرص على الحياة وقيمها الجميله يهون عليه الموت ويتلاشى أمامه الخوف لان خيار مجابهة الموت هنا بمثابة الحياة نفسها والاستهانة به إرادة لصنع الحياة نفسها فبذلك يستحيل الموت مضموناً إيجابيا ينا في المضامين السلبية [٩٩].

فالموت الذي يهرب منه الأخرون يهرب إليه الجواهرى مدفوعاً بحب الحياة حتى أنه ليتألف مع الموت وتالفه معه تحدٍ للموت نفسه لأن الموت موت، فأني السبيل إلى التألف معه ؟ لكنه الجواهري يركب الصعب ويروضه ليعود من رحلة البحث بالحياة مفنماً:

وأركب الهول في ريعان مأمنه حب الحياة بحب الموت يغرينى.

والمفرم بالحياة الجميلة يسمى إلى نبعها غير أبه بالصعاب ولنسأل أبا فرات مانبع تلك الحياة كما ترى ؟

أرى الموت نبع الحياة الجميل إذا حضبته الليالي بـدمْ

وعن وهج الكأس كأس الوجود تترجع عيناي يسرَّالعدمْ

ألـــذ عناق ظـلال الحيـــاة تـــخالط فيها سرورٌبهمٌّ

---

(٩٨) ديوان الجواهري: ٢٩٧/٢.

(٩٩) محمد، جليل حسن، أثار الوثاق دراسات أدبية في شعر الجواهري، وزارة الثقافة أربيل، إربيل، ٢٠٠٨م. ص١٩-٢٠.

إن الموت الصانع للحياة هو النمط الذي أراده الجواهري وأدارمعه معركتة لأنه يعرف أن الموت في الحياة يفضي إلى العدم أما إذا كان استشهادا في المعركة في سبيل الآخرين فأنه يصبح انتصار للحياة بمجموعها انتصارا له وللجنس البشري.

٣. تحدى الزمن أوالدهر:

يزعم الناس أنه قوة قاهرة مهيمنة لا سلطان لهم عليها، ويعزون إليه كل مايصيبهم من نفع وضررو صلاح وفساد، يراه الجواهري كماً فاسداَ معطلاً لقوى الإنسان وباعثا على التشاؤم والانكفاء، وهو يحث على الإقدام بغية تفعيل القوى المودعة في الإنسان واستثمارها على أحسن شاكلة، فإذا كان الدهر قوة مكدرة للحياة فليلن ألانسان قوة مطاولة لها تناضل من أجل منحها الصفاء والألق:

هو الدهر قارعهُ يصاحبك صفوهُ فما صاحب الأيام إلا المقارعُ

فالمهم أن تقارع وأن يكون لك موقع في المقارعة وأن تتريث في انتظار ماتسفر عنه الحال من نتائج.

دعي الطوارق كالاتون تحتدمُ وخلها كحبيك النسج تلتحمُ

وخُذ مكانك منها غير مكترثٍ دهدى بك الموج أوعلتْ بك القممُ [١٠٠]

ويوضح الجواهري وظيفته شاعراً تجاه أحداث الزمان وناسه فينسيط بنفسه مهمة تعرية الثروالأشرار وإماطة اللثام عما يجري في الخفاء، فتلك رسالته وعليه أن يجهر بها وأن يسمع الآخرين مضمونها وأن يضع في أيديهم مفتاح الباب الذي يطلون منه على الأفاق الجديدة الرحبة، فهو مجند نفسه لها ومحرض الأخرين على حيازتها:

دخرت لآحداث الزمان يراعا يجيد نضالا دونها وقراعا

وأعددته للطارئات ذخيرةً يزيح عن الثر الكمين قناعا

وهل أنا إلا كالمؤدي رسالةً رأى كتمها حيفاً بها فأذاعا[١٠١]

(١٠٠) محمد، جليل حسن، أثار الوثاق دراسات أدبية في شعر الجواهري.ص٢٠-٢١.

(١٠١) محمد، المصدرنفسه.ص٢٢-٢٣.

المطلب الثاني: شعر السجون

توطئه: شعر السجون:

والجدير بالذكر أن ثُلة من الشعراع البارزين في العراق قد سحبنوا في تلك المرحلة لغير مرة، ومنهم السياب والبياتي والحيدري وسعدي يوسف. وقصيدة ((شهداء الحرية))[١٠٢]. للسياب تفتح باباً واسعاً في شعر السياسي ونقمته على الآضاع السائدة حيث رأى فيها، بعد ثورة رشيد على الكيلاني الفاشلة، والتي أيدها بقوة، أن هؤلاء الشهداء، ذهبوا ضحية العاملة والتبعية للآستعمار. وهذا مايؤكد شروع بدر منذ عهد مبكر في الاشتراك في الصراع السياسي الدائر في العراق وأنه كان طرفاً رئيسياً فيه، لاسيما أنه في انتمائه إلى الشيوعي العراق ومن ثم التزامه بالتيار القومي، قددخل إلى المعركة في صميمها. وتسجل قصائده في في ديوانه ((أعاصير)) وقائع هذا الاشتراك. ويشير تاريخها إلى ان قسماً كبيراً منها قد نظم في السجن. وتمتاز بقوة وعمق الاحتجاج الثوري وظهور الدم علاقة بارزة تدل على القهرواضطهاداللذين مارسهما الحكام. اما ديوانه ((أنشورة المطر))[١٠٣]

فتمتاز قصائده بهذه النقمة العارمة والفهم الموضوعي لأوضاع العربي العالم العربي، خصوصاً قصيدته ((أنشودة المطر)) حيث يصور الشاعر عقم الحياة بلا مطر ويرى الدماء تسيل في كل مكان والجوع ينتشر. لكنه لايفقد الآمل باعادة الحياة إلى العراق مادام الشعب واقفاً يضع السحاب من أجل خصب العراق ونمائه. ونرى الأمر نفسه عند البياتي. ففي مجمل شعره تصويب باتجاه السلطة التي أحرقت العراق وشعبه، وجعلته طعاماً للسجون، وأقامت المظالم، فضاع في ممارستها الحق واندثرت العدالة وعم الفقر والجوع.....وهذا مانجده في قصيدته ((أعنية إلى شعبي)).

والكلام الذي قيل في قضايا والموضوعات السابقة يعطي فكرة جلية عن المسألة السياسية التي طرحها هؤلاء الشعراء وكانت سبباً رئيسياً في سجنهم. ويبدوأنه من تكرار إعادة ماقيل في هذا المجال ويستطيع القارئ أن يلم بأطراف هذه المسألة من الحديث عن قضيتي الظلم والفعل السلطوي.

---

(١٠٢) بلاطة، عيسى، بدرشاكرالسياب، حياته والشعره، دارالنهارللنشربيروت، بيروت، م١، ١٩٧١م. ص١١٠ -١١١.

(١٠٣) السياب، بدرشاكر- ديوان بدرشاكرالسياب- مجلدان، دارالعودة بيروت، بيروت، ١٩٨٩م. ص٣١٧- ٥٦٣.

ويبدو أن هولاء حاولوا تحقيق طموحاتهم التي تتلخص في الشوق إلى الخلق وإعادة بناء الحياة من جديد في الواقع والشعر وعلى المستوى الشخصي.(وكان الأكثر بروزاً في هذا الشعر هوالجانب السياسي.أوالإنسان السياسي الذي قتلته السياسية، السياسية بمفهومها الأكثر عمقاً ((النضال من أجل التحرر من كل مايقيد ويسلبه.والسياسة بمعناها الأغني شعراً أو الشعر الأغني سياسة.لذلك تؤلد ذلك الطموح بتحويل السياسة إلى شعرا وتحويل الشعر إلى سياسة، أي خلق القصيدة السياسية) لذلك توجه هذا الشعر إلى القضايا التي تهم الشعب...وقليلاً ماعالج موضوعات غيرسياسية.ولذلك ارتبط بالزمن الذي قيل فيه، حمل همومه، وعاش مع. مع الفقراء: عمالاً وفلاحين وجنوداً وعاطلين عن العمل... وكتب الملاحقين والمعتقلين سواء أكانوا داخل الأرض العربية أم خارجها.كما كتب عن مظالم السلطان والاستعمارات المختلفة [١٠٤].

القضية الاجتماعية:

أ- المشكلات الاجتماعية:

شكل المجتمع هدفا رئسيا من أهداف شعر السجون. وكان لكل شاعر رؤية خاصة لإصلاح هذا المجتمع وإعادة بنائه على أسس ديموقراطية سليمة يراعي فيها وضع الإنسان بمتطلباته و حاجاته انسانية.. وبما يضمن حريته الشخصية وحريته العامة. وليس من نافل القول: إن السجن كان نتيجة لهذه الواقف الاجتماعية التي وقفها هولاء الشعراء المسجونون بقية رفع الغبن اللاحق بهم أولاً وبالإنسان الأحوال كلها.. إن إقحامهم أنفسهم في معترك الدفاع عن قضايا الناس طبع شعرهم بطابع خاص هو تفسيير في أبرزوجوهه [١٠٥].

إن قراءة متأنية لشعر السياب وبعض زملائه الأخرين في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين، تذل إلى أن معظمه يدور حول هذه القضية في التاريخ البلاد العربية الحديثة، خصوصاً في العراق. ولقد برزت المشكلات الأجتماعية بوضوع في شعر السياب حيث صورالفقروالجوع والجفاف وأجواء الظلم والاستغلال والتعامل مع المستعمر... وفي قصيدته ((حطمت قيداً من قيود)) التي قالها في أثر خروجه من السجن بعد حوادث ١٩٤٩م، يسعوض الحالة الدموية التي أحداثها الظلم ويتطرق إلى موضوع التحالف بين الاستعمار (الحليف) وبين

(١٠٤) معوش، سالم أحمد، الشعرالسجون، في ألأدب العربيالحديث و المعاصر، دارالنهضة العربية بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م. ص٢٥٤.

(١٠٥) معوش، المصدرنفسه. ص٣٨٣-٣٨٤.

الحكم المحلي. والاتفاق على نهب الثروات واستباحة الدماء وتكبيل الناس وزجها في السجون بعد إفقارها.

التحريض السياسي:

نرى ارتباط موضوع الظلم بموضوع التحريض السياسي. وهي حالة آلت البلاد بعد مابلغ الظلم مبلغة، ومن الطبيعي ان ينعكس ذلك في الأدب، وأن تثور ثائرة الأدباء والشعراء و المفكرين، بهدوء حيناً وصخب أحيانا أخرى. نستطبع أن نتبين ذلك من جملة ماقيل عن الأوضاع العامة. ونتيجة لذلك تعرض كثير من الشعراء للاعتقال والتعذيب والنفي والملاحقة التي لم تهدأ إلى وقت متأخر. وهو ماعبرعنه إيليا أبو ماضي في القصيدته ((مصروالاحتلال)) يوم رأى ظلم الإنكليز وكبتهم الحريات الفكرية بقوله:

كبلو أقلامنا جهد كـــمـــو وامنعوا الألسن والصحف الكلاماً

وإذا عـــــزعليكم أننـــا فـي وئـام، فـانشروا فينا الخصاما

وإذا عـــــزعـليـكم أننـا فـي الحيـاةِ، فـابـعثوا فينا الحمـاما

ينزع الأرواح من أحسادِها أوفكـونـوا أنـتـمُ الـمـتوت الـزؤاها

إنـمـا يـنـقـلـب الأمـرُ إلـى ضـدهِ إن جـــاوز الأمـر الـتـمـامـا[١٠٦]

ظهور الاحزاب السياسية:

لم تكن الاحزاب السياسية، التي سمعت وزارة السويدي بالعمل الغلمني لها، بالشيء الجديد في العراق، اذ ان العراقيين مارسوا الحياة الحزبية منذ تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٣١، وحتى قبل هذه الفترة كانت هناك بعض الجمحيات السرية، وهي بقايا الجمحيات العربية التي أست في الاستانة. كانت الاحزاب المنظمة قد ظهرت بصورة رسمية في عام ١٩٣٣م، حيث أجيز حزبان هما ((الحزب الوطني العراقي)) برئاسة أبو التمن، و((حزب النهضة العراقية)) وكان هذان الحزبان قد بدأ العمل قبل الحصول على الاجازة بصورة رسمية لمدة بضعة أشهر (١٧). وأصدرا جريدتي ((المفيد)) و(الرافدان) على الثوالى، وعرف هذان الحزبان بمواقفها الوطنية من أجل الاستقلال معا أخطر السلطات البريطانية الى ملحها وتعطيل جريدتي ((المفيد)) و ((الرافدان)) ونفي زعمائها الى جزيرة هنجام، في المحيطه الهندي (١٨). كما شجعت تأليف

(١٠٦) جريدة ((الشعب)) القاهرة (لسان حال الحزب الوطني المصري) في ١٩١٠/٣/٢٧م. ص٤٠.

حزب مؤيد للحكومة ومساند للتحالف مع بريطانيا هو (الحزب الحر العراقي) برئاسة محمود النقيب. أحد ابناء عبدوالرحمن النقيب أول رئيس للوزراء في العراق. وانحل هذا الحزب بعد عقد المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٣م. أما المحاولة الثانية لتأليف للاحزاب في عهد الانتراب، فظهرت بعد تصديق قانون انتخاب النواب في (٣أب ١٩٣٤م) فاسَّسَ ضرب الامة برئاسة ناجي السويدي، وضرب الاستقلال الوطني في الموصل وكانت غاية هذا الحزب الدفاع عن القضية الموصل وتهيئة الرأي العام المقاومة المطاليب التركية، وأنتهى دوره بانتهاه قضية الموصل وأسست بعد ذلك عدة أحزاب برلمانية هي ((حزب التقديم)) ألفه عبد المحسن السعدون، (حزب الشعب) الفه ياسين الهاشمي ((حزب العهد)) الفه نوري السعيد، ((حزب الأضاء الوطني)) الفه ناجي السويدي وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، كما عاد ((الحزب الوطني العراقي)) الى النشاط مرة أخرى[١٠٧]. وممت نبخ في العراق آل الألوسى، وأشهرهم العلامة الفقية شهاب الدين الآلوسى صاحب التغير الشهيد الموسوم بروح المعاني في تسعة مجلدات. توفي ببغداد سنة ١٨٥٤م.ثم حفيدة السيد محمود شكرى الآلوسى أديب العراق ومؤلف كتاب بلوغ الأدب في أحوال العرب في ثلاثة مجلدات، توفي سنة ١٩٣٣م. ثم الشاعر الرقيق عبدولغفار الأخرس المتوفي سنة ١٨٧٢م ثم الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى المستوفي سنة ١٩٣٧م، وله ترجمة خاصة. ثم الشاعر الاجتماعي معروف الرصافي المتوفي سنة ١٩٤٥م وله ترجمة خاصة.ثم العلامة اللغوى الأب انستاس مارى الكرملى عضومجمع اللغة العربية بالقاهرة المتوفي سنة ١٩٤٧م. وممن نبغ في المغرب الكاتب السياسي المصلح محمد بيرم مؤاف الرحلة الموسومة بصفوة الاعتبار بمستودع الأمصار، في الخمسة أجزاء. وفد الى مصر فأنشأبها جريدة ((الأعلام)) وأتخذها مقامه حتي توفى سنة ١٨٨٩. ثم الوزير العالم خيرالدين باشا صاحب كتاب أقوم المسالك في المعرفة أحوال المحالك، وهو من خير ماكتب في بابه. سمت به كفايته الى أن تقليد الوزارة في تونس، والصدارة العظمى في الأستانة، وتوفى سنة ١٨٩٠م. ثم السياسي المصلح السيد عبدالحميد باديس الجزائرى المتوفى سنة ١٩٤٠م. ثم الشاعر الشاب الثائرالحرأبوالقاسم الثابى التونسى المتوفى سنة١٩٣٤. ثم بقيت طائفة من نابغى الكتاب والشعراء والأدباء والخطباء [١٠٨]

(١٠٧) حميدي، جعفرعباس، التطورات السياسية في العراق، نشرمطبعة النعمان النجف، بغداد، ١٩٧٥م. ص١٧٦ـ ١٧٨.

(١٠٨) الزياب، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٢، ٢٠٠٨م. ص٤٣٨.

المبحث الثاني: شاعرية الجواهري وأغراضة الشعرية

المطلب الأول: شاعرية الجواهري

تمهيد:

شعر الجواهري:

كان الجواهري ابن النجف الاشرف ومن سلالة أسرة متقدمة عمقآ "بالغآ" في التأريخ الديني والسياسي والاجتماعي للنجف. ولد في بداية القرن العشرين ورحل في آخره ، خاض غمار أحداث قرن صعب ومعقد وحافل بالعجب العجاب ، بدا بالقريض وهو في سن مبكر ، اشتهر وملك الدنيا وهو لايزال شابآ في مقتبل العمر. قبل عنه الكثير بدءآ من بابغة الشعر العربي ، مروراً بشاعر العرب الاكبر ، وأمير الشعراء بعد شوقي ، ووارث الشعر العربي وحافظه ، ومتنبي العصر ورب الشعر ، وانتهاءً بألقاب وأوسمة أدبية قلما حصلت وتحصل لشاعر عربي ، والحق لايمكن الظن بأن البنى التحتية الاساس في كل هذه التسميات والأنواط غير ثابتة في أرض صلبة ، خصبة معطاه ، والا كيف صح أن اجتمعت عقول أدبية راسخة ، ونجوم متألقة في دنيا الأدب يشار أليهم بالبنان لتعترف بقمة الجواهري ، ولتهدي اليه بسخاء ما لا ينحدر اليه السيل ولا يرتفع اليه الطير من المنزلة والعظمة. والواقع أن الاحاطة بشاعر كالجواهري صعب جدأ وبيان قراءة خاصة بشخصة وأدبية تمتاز بالشمول والالمام المطلوبين أصعب فالكتابة عنه بمثابة الكتابة عن مائة عام عاشها بالامهام ، وأفراحها بوعي وتبوغ يحسد عليه ، وهي كذلك تعني سبر آخر شاعر كلاسيكي ، أصولي حفظ الشعر العربي من التيه والضياع واكسبه حداثة لا تزول معها أصوله الأولية من الجاهلية الى يومنا هذا ، ومما يزيد الامر صعوبة ندرة المصادر في هذا الشأن والموجودة منها قد لا يفي بالغرض المطلوب.

لا شك أن القاء الضوء على مجمل اشعاره الذي انشد ما يقارب عشرين ألف بيتآ خلال عمره المديد البالغ قرناً كاملا ، والذي ارعب الطغاة والجبارة ، وحمل هموم جماهير وبؤسها وحرمانها ، حاملآ خشبته على كتفه متنقلآ في البلدان والاقاليم – لممتلئ احساساً ، وقوة ، وبراعته في التصوير وخلق الحالة مستجيباً للدواعي الاجتماعية والسياسية وبقية ازاحة النظرعن الاغراض الشعرية التي يتطرق اليها الشاعر، بل عليشها روحاً وجسماً ، ودفع عنها آثماناً باهضة ، فالرجل ذو خيال واسع ، عنيد ، لا يتقبل الخضوع ، طموح الى اقصى حد ، عاشق المجد ، لا يستوعبه مجال وزمان.

وجدنا من الضروري التعرف على البواعث الرئيسية لتفجر الشاعرية لديه وسر تطور شعره ، قبل خمسين عاماً تقريباً دار بينه وبين مؤلف كتاب ((شعراء الغري)) حوار أشار الى هذا الموضوع وفي معرض أجابته عن سر شاعريته قال مطلقاً ، أما عوامل تطور الشاعرية فعديدة ، أهمها حسب الظهور والتنافس ، فقد كنت أقرأ شعراً لشعراء مشهورين وأناجي ضميري ، بأني هل استطيع أن أنال مقام ذلك الشاعر؟ أقول بتجرد عن الغرور ، اني وصلت الى اليوم الذي شعرت فيه باني كما أردت وأنا مدين لهذا الشعور والاحساس ، ودفع آخر هو أنني وجدت "لسوء الحظ أولحسنه لقد صدق الجواهري نفسه في تصريحه هذا ، كان في داخله ينافس الشعراء العظام أمثال المتنبي ، وأبي تمام ، والبحتري ، وبشار ، وشيخ المعرة ، بل كان يرى نفسهليس فقط فريناً لهم ، بل هو اكثر غروراً ، واكثر طموحاً وباحتا عن المجد والخلود ، بل لعله كان يرى نفسه في حاله أخرى رمزاً لبقاء أصوات هؤلاء العظام مدوياً في القرن العشرين على هذا فأنه لم يكن ليترك غرضاً شعرياً قد أفاد به القدماء ، الا زين به قصائده ، قد صال وجال مقتحماً جميع الأغراض الشعرية. ويكفي أن نلقي نظرة عابرة على دواوينه الشعرية ، لنرى كيف ان الاغراض الشعرية تنقاد لقوافيه من صلبها ومن اعدادها الاولى ، لذلك نراه متأثراً بالغرض السياسي ومتعمقاً فيه أكثر من بقية الاغراض ، ومن الصعب أن نجده في أشعاره بعيداً عن الهم السياسي فهو شغله الشاغل ، وعصب هدفه الشعري ، فقد خاض المعارك السياسية بجدارة فائقة ، واختزل الزمن والمسافات ، مفسراً كاشفاً منظراً محللاً ، وحاملاً لهموم يقتضيه طموح لا نهاية له ، فهو المتنبي الكبير تارة ، والبحتري تارة أخرى ، أو رهين المحبسين أبو العلاء المعري مرة ، وأبو نؤاس بغداد أخرى ، فهو عمر بن أبي ربيعة مرة ، والشريف الرضي أخرى. ونود الاشارة الى جل شهرته يعود الى تعاطيه الشعر السياسي ، فالسياسة كانت لب حياته ، ويأتي في المرتبة الثانية شعره في المرأة أو الغزل ، فقد كان شعره في المرأة لاسيما غزله المكشوف دائماً المثير للضجة ، والجدل والتساؤل. وان كان غزله الاكثر اثارة وعنفاً ، فلقد كان يمكن وراءه بواعث ودوافع وعوامل تطرق اليها النقاد وباحثو الادب العربي ، سنشير اليها بشكل خاص من خلال طرح أغراضه الشعرية [١٠٩].

(١٠٩) الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره، دار طلاس للدراسات والنشردمشق، دمشق، ١٩٨٦م. ص٤٥.

الجواهرى والمرأة في شعره:

من يتصفح ديواني يجد طائفة من النساء بأسماء ومن اسماء في مكان ومن لا يحملن لي واحمل لهن بعضاً من عشق ، وبعضاً من هيام ، وشئاً من شعف وشيئاً من مودة ، يخالطهما عبث ومجون هنا ، ووداعة وهناءة هناك..... وما كان لي ألا هذا ففي رحلة من ثمانين عاماً لاقيت مالاقيت ورايت ما رأيت ، تغزلت بناء ما رأيتهن ، ورأيت نساء ما تغزلت بهن ، وكانت لي مباذل وكان لي عشق مقدس ، صليت في محاريب بنساء والها مغرماً دنفاً ، وعزفت عن الصلاة في محاريب بشراً له جذوة في القلب ، قلت:

يـــا فـــؤادي أأنـــت جـــذوة نـــار كـــلـــمـــا هبت الـــريـــاح تـــشـــب

وقبل ان أوغل في الحديث يحفزني حافز لا قبل لى بعده ، ان اذكر مثالين هما مثال غابر ومثال حاضر ، مثال غابر من الغابرين اجدني ملزماً بالتذكير بشار ، هياماً ومباذلاً ، ومثال حاضر و ببابلونيرودا المستنقل بين النساء في حياته وسيرته.

كان الاثنان يسردان مباذلها الاول فرحاً يخدش حياء مجتمع البصرة المعتزلي المتزمن والثاني مغتبطاً بمسرات حياة مقبولة في تلك القارة البعيدة.

في حضارة الأول الحديث عن المرأة رجس محظور وفي حضارة الثاني الكلام عنها شئ من طبيعة الأمور وبعد الف عام على بشار اوما يزيد مازلنا نمسك عن الكلام المباح.

ماهذه بدعوة للاسفاف فبين ان نصرح وان نسف مابين السماء والأرض من مسافات اقول تحدثت في شعري عن مجالس ادب تكاد تكون مكشوفة فيها مخلوقات[١١٠].

من عالم الغواني وعالم العاشقات وفي كل الأحوال لم اخرج عن حدود الاحترام لهذا الكائن البديع الذي اسمه (المرأة) ، وكنت ادفع بهذا ثمن جمال الأنوثة وفتنتها وروعتها. وادفع ايضاً ثمن الرجولة المتقدة. وفي كل حاله من الاتقاد العميق او الاشتهاءة العابرة لم اكن الا صادقاً وهذا سلوك طبيعي يتناسب مع تكويني.

في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات أعطيتُ رجولتي حقها في ليالٍ ماجنات عابرات ولم يكن جهري بها شعراً الا سرماً بقضبان القفص الذهبي في البلاد ليس إلّا ، أوكان جرياً على

(١١٠) الجواهري، محمدمهدي، مذكراتي، دار المنتظربيروت، ج٢، ط١، لبنان، ١٩٩٩م. ص٤٩-٥٠.

سجيتي دون التفات للعواقب.... ذلك كان شبابي العنيف ولكن كهولتي لم تكن أقل عنفاً بل كانت اعلى ضراوة ولكن ينبغي على المرء ان يتذكر انني من بيئة نجفية من بيئة هي التزمت مجسداً وهي التبتل المغروض قسراً وما كان لبيئة كهذه بل لبيئة العراق ان ترتضي سماع (حبر بيني) أو (هنري بنصفك) [١١١].

وكيف لهذا المجتمع أن يرتضي قولي واناازدري مقاييس الخلق وعقائدِهِ.

تهداك والصدر ثالوث أقّدسه

لوكان يجمع تشليث وتوحيدُ

وقصة هذا البيت والقصيدة التي هومنها ((وادي العوائش)) مّما مّرتْ اللمحة منه في الجزء الأول من هذه الذكريات. لقد أسمّى البعض هذا المجون مجون شعر للتملّح او إلاستطراف حيناً ومجون شاعر بعينه حيناً آخر.

وعن ((ليلة معها)): وهي أقل عنفاً من جريني ولكن أكثر صراحة وجمالاً قيل انها تقع على لون آخر من الاحساس يخلو من طابع المجابهة البارز في قصيدة ((جربيني))

فعلام تجتهدين مرعمة ان تستري ماليس يستتر

وفي قصيدة (سلمى) قيل انني كنت هادئاً ، حزيناً ، حليماً.

أنا أهواك لا أريد جزاء غير علمٍ بأنني أهواكِ

أما في (افروديت) فان صيغة الجمال ناضجة متفردة هذا ما قيل واظنه في الأحوال كلها صادقاً.

فلكل امرأة مقام ولكل مقام مقال

في مقابل اللهوُ العبث والمجنون كانت لي قصائد حانيات مكبرات للمرأة المقاتلة البطلة ، والزوج الحنون ، وللأخت الرقيقة. وقد خصصتهم بقصائد مدح وثناء أو بكاء ورثاء وكان فيها من العبادة اضعاف ما كان في غيرها.

(١١١) الجواهري، المصدرنفسه. ص٤٩-٥٠.

لم تكن المراة عندي جسداً وحسب ولم أوغل في وصف هذا الجسد إلالماماً لقد كتبتُ الكثير عن الرأة في شعري واقول هنا النزر اليسير عنها تاركاً لديواني ان ينطق فله اكثر فله اكثر من لسان [١١٢].

ماذا قالوا عن شاعرية الجواهري:

به سموت..... وبك سما ألقى ممثل السيد الرئيس حافظ الأسد الرفيق الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية كلمة قال فيها:

بالشعر سموت وبك سما وبالكلمة حلقت وبك الكلمة حلقت.. وبلغة الضاد أرتقيت...وبك الضاد أرتقت.

كنت يا فقيدنا الكبير علماً في سماء الشعر ونبراساً في عالم الضاد على إتساعه و في المقدمة من فرسان اللسان والفصاحة زكنت الحاذق في الصياغة والبارع في النظم والعاهر في تطويع اللغة لأغراض الشعر وضروراته.

كنت ايا أبا فرات في الطليعة من مناضلي أمتنا والمخلصين من أبنائها وكنت البليغ في التعبير عن آلامها وآمالها وكنت المبدع في أبراز شمائلها وخصائصها.

تحملت من الآلام والتاعب بفعل مواقفك الشريفة وأفكارك النبيلة ما تنوء بحمله أكتاف الرجال العناديد وقاسيت الكثير الكثير بعيداً عن مسقط رأسك ومرتع جبال حين كنت تتنقل منفياً من مكان الى آخر الى أن استقربك المقام في دمشق قلب العروبة النابض [١١٣].

عشت يا فقيدنا الغالي حميداً وانتقلتُ الى عالم الخلد عزيزاً كريماً لكن غيابك حضور فغياب الجسد ليس غياباً فأنت الحيّ الخالد فينا بمناقبك ومبادئك وبقيمك وأفكارك وبتراثك وأدبك ولسوف يظل شعرك في ذاكرتنا وعلى ألسنتنا نردده وننشده شعراً خالداً خلود لغة الضاد وأهلها وأبنائها.

انت الحي الخالد فينا بما فعلت وبما كافحت وناضلت وبما كتب وأبدعت من قصائد سوف تظل باقية وخالدهُ على مدى الأيام ومن أعمال أدبية جليلة سوف تظل في كل ألاوقات خير شاهد على فضلك ونبلك وكما تحتفظ ذاكرتنا الأدبية والشعرية بالعديد العديد مما كتبه المبدعون من عمالقة

(١١٢) الجواهري، المصدرنفسه.ص٥٠-٥١.

(١١٣) الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل، دمشق وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م. ص ١١.

الأدب والشعر في تأريخنا القديم والحديث وكما تنطق ألسنتنا بالكثير الكثير مّما قالوه شعراً ونشراً فان ذاكرتنا سوف تحتفظ بما كتب وتحفظه تماماً مثلما أن ألسنتنا سوف تنطق بما أبدعت وترددده شعراً لايمحي أثره ولايزول تأثيره فشعرك مما لاينسى وأدبك مما لايزول وفضلك باق. ما بقي الشعر والأدب وهما باقيان خالدان بقاء الانسان وخلوده خصوصاً عندنا نحن العرب الذين يستهوينا الشعر وتطر بنا الكلمة مكتوبة أومنطوقة ونتغنى بالقصائد العصماء وبالنصوص الادبية الراقية والجميلة وبالقول المأثور، فالكلمة فينا تأثيرها العميق وسحرها البالغ وذلك بعض من خصوصيتنا القومية وخصوصيتها التاريخية وهذا مما نفخر به ونفاخر اذما قيمة الانسان يغير الوجدان[١١٤].

الجواهري والحداثة:

وفي حين أن بدر شاكر السياب ، وهو في أشهر وأهم رمز للحداثة الشعرية العربية ، يعتبرة ((متنبي القرن العشرين)) يعتبرهُ الجواهرى أن السّياب وحده المؤهل الحمل راية الشعر من بعده. لهذا الاعتراف المتبادل من جانبين متناقضين من الشكل والمضمون ، في التوجه والانتماء ، يؤكد أن العبقرية الشعرية الحقيقة ، لاتعترف بالأشكال ، والمقاييس المسبقة ، لأن القصيدة الجيدة سيوف تبقى أيا يكن شكلها ونظام كتابتها ، والقصيدة الرديئة سوف تفنى قبل صاحبها ، وإنْ استعانت بالخليل بن احمد الفراهيدى أو بـ ((ولت ويتمان)).

والذي لا يعترف كثيرون هو أن علاقة الجواهرى بشعراء الحداثةالمعروفين كانت على خير مايرام ، وكان يعترف بعطاءاتهم الابداعية ، على الرغم من اختلافه معهم في النظر الى الشعر والى طريقة كتابته ، أو الى اعتباره وسيلة أو غاية في حد ذاته.

وهو لا يتورع أن يعترف بأنه جرب كتابة الشعر الحديث ، وأن على طريقته. فهو قد اعتمد نظام التفعيلة بدلاً من نظام البيت ، ولكن نصة كان أقرب الى الموشحات منه الى الشعر الحر.

وأذا أخذنا الموشحات كفن شعري نجد أنه كان اللبنات الأولى للحداثة أو هي ((رائد الشعر الحديث)) على حدث رى الجواهرى نفسه ، والربما لم يصل كثير من شعراء اليوم الى بعض ما وصل اليه مستوى الموشحات [١١٥].

---

(١١٤) الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل. ص ١٣.

(١١٥) المصدرنفسه، المصدر نفسه. ص٢٦-٢٧.

يبقى الاهم بالنسبة الينا أن الشاعر في قصيدته ((أمروديت)) قد طرق باب الشعر الحديث ، عن سبق تصميم واصرار ، وان كان ذلك قد حدث بأدوات أقرب الى عمود الشعر ، و ((افروديت)) هي في الأصل قصة للكاتب الفرنسي ((بيرلويس)) وهي أمراة جعلتها الطبيعة اانموذجاً كاملاً للبداعة والأنوثة المكتملين ووهبتها أعنق ما يوهب القلب من نشراف الحب العنيق المميت ، يقول الجواهري اونوردها كما جاءت تماماً في الديوان ، وبترتيب الاسطر نفسه /: -

ثم نادت (جالا)

وكانت من الرقة....

كالماء اذيهز الخيالا

من بنات (الهنود)

تعرف ما يرضي الغواني....!

وما يزين الجمالا !

من أتى أمس.....؟

خبريني.....؟

كلا... فلست احصى الرجالا.....!

اجميل فلم امتعه

اذ نمت عميقاً مما لقيت الكلالا ؟

ومتى راح...؟

في الصباح...؟

آلا يرجع ؟

ماذا أبقى...؟

اغادر شيئا...؟

ناولينى اساوري

فأتتها بصنيديق... أودعته حاليا

رفعت عندها ذراعين

سبحان الذي يخلق الجمال السويا

ان نفسي (جالا) تفيض هناء

لو توصلت أن أميت حبيبا

من أولاء الذين يلقون داء

فيخالون أن في الطبيبا...!

يجهلون أنتقامة....واشتهاء !

فيموتون تحت سوط عذاني

ثم امشي عليهم مشية

الطاووس

احثو وجوهم بالتراب.[١١٦]

أهم شاعركلاسيكي في القرن العشرين:

الجواهري شاعر حاضر في كل شاعر عاصره وفي من سيأتي بعده. قصيدة الجواهري تدل على أن الشعر العربي الكلاسيكي يتأثر في كل العصور بالنضارة ذاتها وبها حبس البحث الدائم في جماليات اللغة العربية. الانطباع بأن الجواهري شاعر عباسي يحيا في القرن العشرين خادع وسريع فالجواهري ابن القرن العشرين في أصفائه للزمن وحضوره الدائم في حركة الواقع وكأن قصيدته شكلت في مراحل ممتدة تعويضاً عن انكسارات الواقع ، تعويضاً لغوياً وتعويضاً ايقاعياً ، اعتبر الى جانب شوقي أهم شاعر كلاسيكي في القرن العشرين ولا أقبل بالمقارنة البسيطة التي تواجهه بعصر أبو ريشة وبدوي الجبل على سبيل المثال ، أرى قامته أعلى واراه أكثر ديناميكية في حضوره وفي صلة الشعر بالناس.الجواهرى ، خليط من المتنبي والبحترى وكامل التراث العربي على شوط تأريخي معاصر[١١٧].

(١١٦) الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل. ص٢٨-٢٩.

(١١٧) الجواهري، المصدر نفسه. ص٤٦.

والفارق هو كيف أستطاع شعر ببناء كلاسيكي ولغة كلاسيكية أن يكون معاصراً في الوقت ذاته ولعك سر ذلك انخراطه الدائم في الهم الحلم دون أن يتخلى عن فرديته المتميزة، عن الشاعر فيه فهم شاعر شاعر أولا ، بدليل أن تغير مواقفه السياسة ومنا ؟المتخلفة لم يبدو لاشعره وبقيت قامته الشعرية أعلى من التغير فهو شاعر عابر لأزمتة والظروف والموضوعات نفسها.

أعتبره أحد أنهار العراق الثلاث ، فهناك دجلة والفرات والجواهري. وأنا فخور على المستوى الشخصي بأنني كنت أحفظ في شبابي شعره وخاصة مرثيته الشهيرة في أخيه ، أنا سعيد أيضاً بأنني تعرفت اليه بأنني تعرفت اليه وألتقينه وحرقت في امتلاء الشاعر فيه ، فهو يعرف جيداً مكانة نفسه ويعرف أن موضوعاته عابرة وأن لفته هي الباقية ، ومن مزاياه أنه كان يقبل تجارب الشعر الحديث وحاول في بعض قصائده أن يكتسب التفعيلة[١١٨].

هــل يـموت الشاعـر مـفيـد خـنـسـة ... دمـشـق

كيف يموت الشاعر وقد ترك في قلب كل منا فتيلاً يتوهج من زجاجة لا ينضب زيتها ؟

كيف يموت وكل لسان يردد له قصيدة يتغني بها على أوتار الابداع والموقف والانتماء ، ويعزف الأنغام.

عالية حتى تملأ الأفق ؟

كيف يموت مادام ذكره باقياً أبداً ، وكتبه هنا هناك على رفوف مكتباتنا تشير وتوحي وتضئ ؟!

لا الشاعر لا يموت ؟!

وأبي شاعر ؟!

الجواهرى..... الشيخ الذي يخشى أن تقع قبعته فتتكدس الكلمات الليلكية في السماء ، الجواهرى.. صاحب الصالونات الادبية والجرائد المتعددة في بغداد ، الجواهرى.... تلك المكتبة المتنقلة من بغداد الى بيروت الى القاهرة الى براغ حيث تستقر في دمشق محبوبة الشاعر وحبيبها ، الجواهرى..... ضاقت المكتبة ، وضاق جسده عليه ففاض ورف وأشار وغاب. الجواهرى... أيّها الساكن بين نور العقول وضياء الافئدةُ ها نحن ضيوفك اليوم فلماذا تنأى وقد

(١١٨) الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل. ص٤٧.

تجمع الصحب والأهل والأحبة. زفتك دمشق ، موئل الابداع والشعر والشعراء ، للقصيدة التي تزينت بموسيقا الاعراس ، فلماذا ابتعدت عنها وهئ لك المائدة ؟!

الضيوف كريمون.. ومائدتك وافرة بالكلام. فأين الافلام والصحائف والمداد ؟!

ايها الأخ الكريم ما عهدناك صامتاً هكذا ، وما عهدناك متوارياً هكذا فكيف نقدر على الصمت وأنغام موسيقاك تهيم بالقلب حتى الافتراب.

هل يعني أنك مت ؟!

لا... الجواهرى شرارة في فتيل ، ورسالة في غيمة ، زكتاب على الشرفة ونحن نقترب ونقترب.

آن هطول الكلام في حريق اللهفة والدهشة والانبهار فقد غاب الشاعر ليود علامة على قوس ، ونقطة في إناء ، ورائحةٍ في الجغرافية [١١٩].

([١١٩]) الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل. ص٣٩٢-٣٩٣.

المطلب الثاني: أغراض شعر الجواهري

الجواهرى والشعرية:

شعر الجواهرى خلاصة تجارب شعرية امتدت قروناً عديدة ، تمثل فيه اشعاعات آثار العصور التي مزت بها الادب العربي واهم السمات التي تميزت بها الشعر عبر مرورة بتلك الازمان والعصور ، وقد نبغ خلال تلك العصور شعراء افذاذ بدءاً بالعصر الجاهلي مثل (نابضة الذبيانى) و (زهير بن ابي سلمى) و (امرؤ القيس) مروراً بالعصر الاسلامى مثل (عبد الله بن رواحة) و (كعب بن زهير) المخضرم و (حسان بن ثابت) المخضرم وصولاً الى العصر العباسي الذي يتميز بالعصر الذهبي بالنسبة للادب العربي بسبب الثروة الثرية من الاثار الادبية التي اثرت من هذا العصر بشقى الادب من الشعر والنثر وقد نبغ شعراء عظماء في هذا العصر امثال (المتنبى) و (ابي تمام) و (بشارين برد) و (البحترى) و (ابي العلاء المعرى) و (ابي العتاهية) وآخرون ، تركو بذلك تراثاً ضخماً من الدواوين الشعرية ، ولكن عند الوصول الى نهاية العصر وبداية عصر المماليك وبعد احتلال هولاكو لبغداد اصاب الادب فترة من الركود والسبات ولم يطلق عليها المورضوا الادب تلك الفترة (بالمظلة) هباءً وانماء تحقق ذلك بعد ان اطمأن هؤلاء المؤرخون بارتداد الادب الى الوراء لمسافات طويلة ، ولكن جهود المثقفين من اصحاب هذا الادب لم يتوافر في النضال والعمل من اجل اعادة ادبهم لعزه وازدهاره وسمعته القديمة الراقية ، فاخذت البلدان العربية في وسط القرن التاسع عشر تستيقظ من سبات طويل ، وتفرك عيوناً طالت هجعتها ، وتنظر دهشة الى دنيا حافلة بالجديد في نظم العيش ، وفي نظم الفكر ، وعالم المعاني ، والاداب ، وما خلقه ادباء الغرب من صدر و دبجوه من كتب ، وتظموه من شعر ، واخذت تتناول من القديم ، وتتناوب من الجديد ، وتمزح بين الثقافتين [١٢٠].

ان العديد من الاحداث الساسية والعوامل الفكرية والاسباب العلمية منذ بداية قرن التاسع عشر ، كانت تشير الى حالة من الململ الذي انتهى في منتصف ذلك القرن الى يقظة ادبية وفكرية وسياسية مالبثت ان صققت لها الكثر مما مما كان ينشده أبناؤها على مده عدة قرون ، الآن ان هذه النهضة كانت بطيئة الحركة ، ولكنها مالبثت ان أتت أكلها في نهاية القرن التاسع

(١٢٠) الدسوقي، عمر، في الادب الحديث. ص٣.

عشر ، بفضل من ابناء الامة من المصلحين والادباء والمفكرين ، حتى وجد صورة الادب تتميز تميزاً ملحوظاً عما كانت عليه بداية القرن الماضي [١٢١].

١ـ المدح:

اذا كان المدح يعتبر من أهم وأكثر وأشهر الأغراض الشعرية في تاريخ الأدب العربي، فقد تطرق اليه جل شعراء العرب، وما من ديوان لشاعر عربى الا وللمدح بصمات واضحة عليه ومعلوم أن المدح في الشعر العربي كان دوماً ينحى من خلال منحيين ويساق على محورين، فقد كان المدح التكسبي والمدح غير التكسبي، يعني مدح القيم، أو المدح النموذجي، الذي يرى الشاعر في الممدوح النموذج الأمثل، والأحسن، وهو المدح الحقيقي الذي يتقصى الظواهر الحقيقية الكامنة في شخصية الممدوح.

لقد مدح الجواهري الكثيرين، علماء، رجال حكم، أدباء، شخصيات وطنية، ورموز ثائرة في كل مكان. لا يختلف لديه ان كان الممدوح عراقياً أو عربياً، أو كان من قوم غير العرب، يكفي أن تتطابق شخصية الممدوح مع القيم والموازين أو الشروط التي كان يراها لزاماً لكل ممدوح حتى يكون في مستوى مدح شاعر كالجواهري. فلم يكن مدحه مدحاً يهدف من ورائه مطامع مادية أو يهدف الى الحصول على مواقع اجتماعية أو سياسية، فقد كان مدحه دائماً يستند على الأحوال والظروف الخاصة من الناحية الزمنية والسياسية والاجتماعية. ومن مميزات مدحه، أنه يتفرع في المدح ويخرج الى آفاق خارج الممدوح، أو يقصد في مدحه افادة الممدوح وتحذيره أو توجيهه بالجهة التي يريدها، وهو صادق في مدحه، ذو شفافية، يرسم لوحة رنانة، يبقى مع الممدوح ويشتهر به، وحتى أن السمات البارعة التي ينسبها الى ممدوحه قد تطغي على شخصيته وقد تخلق منه شخصية أخرى في عيون الآخرين. انه في العشرينيات وفي بداية نبوغه الشعري وفي خضم أحداث ثورة العشرين وما تلاها مدح رجال الثورة ومجدهم أيما تمجيد[١٢٢].

---

(١٢١) الحمداني، المصدرنفسه.ص١١.

(١٢٢) الجواهري، محمدمهدي، الجواهري في العيون من أشعار، داراطلاس للدراسات والترجمة و النشر دمشق، دمشق، ط٤، ١٩٩٨م. ص٤٥.

وبعد وقوع ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م سارع الى تأييدها ومباركتها باعتبارها تحقيقاً لأمل كل الجماهير، وقد مدح زعيم الثورة عبد الكريم قاسم بقصائد عديدة، وكان بينهما علاقات صميمية حتى قيل ان الجواهري قد وجد فيه سيف الدولة [١٢٣]:

أَعِدْ مَجْدَ بغدادَ ومجدُك أغـلبُ وجَـدِّدْ لها عهداً وعهدُك أطيبُ

وأَطْلِعْ عَلَى المُستنصريةِ كوكباً وأَطْـلَعْـتَهُ حقّاً، فـإنّكَ كـوكـبُ

أقـمـتَ بـــها عزاً عريقاً مُكَعَّباً وكـانَ بـــها ذُلٌّ عـريقٌ مُكعبٌ

ثم يملي على الزعيم مايراه مناسباً ومقام الثورة من ألقاب وأوسمة:

أبـا كـلِّ حـرٍّ لا أبا الشَّعْبِ وَحْدَهُ إذا احْتَضَنَ الأَحرار في أمَّةٍ أبِ

انه لم يقتنع باعتبار عبد الكريم قاسم أباً للشعب العراقي بل تعداه في ذلك الى أب جميع الأحرار في العالم، حينذاك يرى نفسه وقد تقرب الى قلبه مستغلاً المناسبة ليطلب منه إطلاق سراح بعض المسجونين ويكون لهم لديه شفيعاً:

ومن هنا بدأ الجواهري بتحذير عبد الكريم قاسم من مؤامرات قد تحاك ضد الثورة:

أبا الشَّعْبِ لاأُخْفِيكَ بَثّاً يَهُزُّنِي وما أنا لِلْخلِّ الصَّريحِ مُرَوِّبُ

تَسَرَّبَ هَمْسٌ أنَّ فَقْعاً بِقَرْقرٍ يُعِيدُ شراكاً للهزبرِ ويَنْصبُ

٢ ـ الرثاء:

اذا كان الرثاء ممزوجاً مع المدح في الشعر العربي، أي أن الرثاء في الواقع هو مدح بفارق أن الممدوح هنا ميت. ولقد كان للموت وقع خاص لديه سواء بالنسبة اليه أو بالنسبة الى أطرافه. فقد أجاد الجواهري رثاء أحبائه أو الذين كان يعتبرهم نماذج تاريخية، فقد رثاهم ورثا معهم المجتمع وحتى رثا نفسه معهم. مما يمتاز به رثائه قياساً الى رثاء بقية الشعراء هو أن الشاعر قد يتخذ الرثاء ذريعة للدخول في مفردات كثيرة ومتنوعة، وأغلب الرثاء في شعره يتخذ بالتالي طابعاً سياسياً تهكمياً، أو انتقاداً لظروف خاصة، أو مطالعات سياسية واجتماعية يبين فيها

(١٢٣) ديوان الجواهري، من قصيدة المستنصرية، ج٥. ص٣٨.

الشاعر آرائه المستخلصة من تجاربه السياسية والاجتماعية. فالرثاء عنده ينقسم الى رثاء خاص وهو للمقربين من أهله ومعارفه، ورثاء عام ينشده لرموز وشخصيات سياسية، أجتماعية، أدبية. رثاءه، رثاء عاطفي يجيش مع الأحاسيس الصادقة التي تعبر عن احتراق داخلي للمفقود[١٢٤]. و هو من القلائل في اتخاذه رثاء نفسه، ويعود رثاء النفس هذا، الى ما كان يراه من غمائم سود في رحاب الأفق السياسية، والأجواء التي كانت تحيط به، وهو على الرغم من كونه مشهوراً بالتفاؤل بحتمية حصول التغيير وعدم بقاء الأرضية لظلم الظالمين وطغيان الطغاة، لكنه لا يفتأ يتذكر الموت، هذا الهاجس الخطير الذي ليس لأحد ابعاده عن نفسه. وهو القائل

مَنْ منكُمُ رغمَ الحياةِ وعيبها　　لم يحْتسبْ للموتِ ألْفَ حسابِ

أنا أبغضُ الموتَ اللئيمَ وَطيفَهُ　　بغضي طيوف مخاتل نصابِ

ذئــبٌ تُــرَصِّدُنِي وفوقَ نُيوبِهِ　　دمُ اِخْــوتِي وأقاربي وصحابي

ولقد أبدع الجواهري في مجال الرثاء أجمل الابداع، وخلق معجزة شعرية قد لا تضاهيها أخرى، وهي قصيدته الرائعة في رثاء أبي الأحرار الأمام الحسين (ع) «آمنت بالحسين»، فقد سجل سطوراً حماسية خالدة، أضافها الى ما قيل من شعر النعي والرثاء على الحسين (ع). ولم يكن عبثاً بكتابة خمسةعشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيسي الذي يؤدي الى الرواق الحسيني (من المتقارب).

في عام ١٩٥٦م دُعي الجواهري الى دمشق للاشتراك في حفل تأبين الشهيد عدنان المالكي، وقد نظم قصيدة في رثاء الشهيد ولكنها كانت قصيدة سياسية أشار فيها الشاعر الى جملة أمور سياسية ومؤامرات كانت تحاك ضد الأمة العربية في العراق وسوريا وقد اشتهرت هذه القصيدة اشتهاراً بالغاً وأي محفل يذكر فيها الجواهري يذكر معه غاشية الخنوع[١٢٥]:

(١٢٤) الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره. ص٤٧.

(١٢٥) الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٦م. ص ٣٧٦.

٣- الوصف:

لقد قيل قديماً ان الأصل في الأغراض الشعرية هو الوصف، بل أن بقية الأغراض عمادها الوصف، سواء كانت مدحاً أو رثاء، أو حماسة، أو غزلاً، أو فخراً، أو أي غرض آخر، فالوصف هو الغرض الشعري الذي به يستبان قدرة الشاعر الابداعية ونفوذ خياله في تجسيد الرموز المطلوبة وترسيمه في لوحة فنية يستذوقها المتلقي، فبراعة التصوير هي التي تجعل المتلقي يحس بلذة الشعر، ومن ثم يحمله التأثر بوقعه الفني، وتأتي المضامين والأشكال الفنية الاخرى في مرتبة بعد هذا الوصف.

على الرغم من أنه قد بدأ مشواره مع الشعر متفاعلاً مع قضايا سياسية كبرى، الا أن الوصف لديه قد بدأ يتفجر عنده من خلال تأثره العميق بالطبيعة الايرانية عبر زيارتين قام بهما لايران في عامي (١٩٢٦هـ -١٩٢٤م).

وهو ينبهر انبهاراً بجمال وروعة الجغرافية والطبيعة في ايران وتراه قال عن ذلك [١٢٦]: فمن النجف المحاطة بالسور العتيق المتهاوي وقبورها، لا أريد أن أظلم شواطئها الصغيرة والجميلة معاً، من هذه البيئة وبحق وأمانة ففيما يفصل بين صورها الحزينة هذه وبين بهجة الرملة الحمراء، فقد شاءت الصدفة أن أتجاوز ذلك بسفرتي الأولى ربوع ايران، واذا بي بين الينابيع الدرارة والسهول الخضراء والجبال الشاهقة العملاقة وأغاني الرعاة والبدو الرحل أصحاب المقامات الشهيرة وبأنغام الناي الجميل والحان "التار" الساحرة اللذين ظلا يأسران النفوس قبل الأسماع منذ آلاف السنين « فأنشد قصائد عديدة في وصف الطبيعة الخلابة لايران، مثل قصيدة الريف الضاحك، وقفة على كرند، على دربند، الخريف في فارس، في شميرانات طهران.. وغيرها. وكانت أغلبية هذه القصائد جاءت من وحى صفاء الجو، واعتدال المناخ وعذوبه الهواء للطبيعة الايرانية الساحرة على حد قول نفسه. ولقد قال أيضاً: ففي هذه المقاطع، وقليل من غيرها، استطعت أن أعرف ما هو الشعر الطبيعي، وكيف تثور النفس الشاعرة، وتختلج الفكرة، ويدب المعنى ويختلق النفس. جاء في قصيدة بريد الغربة في وصف شميرانات طهران [١٢٧].

---

(١٢٦) الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، ج١-٢، ط ١، دمشق: دار الرافدين، ١٩٩٨م. ص ١٢٢.

(١٢٧) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١-٢. صيدا: المكتبة العصرية ١٩٦٧م. ص٣٦٠.

وقال في قصيدته "على دربند" عام ١٩٢٦م.

قُـرىً نُظِّمَت نَـظمَ الجمانِ قلائداً أو الـــدُّرِ مزدانـاً أو الماسِ رصعاً

صفوفٌ من الأشجارِ قابلنَ مثلها كما مصرع في الشِّعرِ قابل مصرعاً

وَقَفْتُ عَلَى النَّهرِ الذَّي مِنْ خَرِيرِهِ فـرعتُ مـنَ الشِّعْـرِ الإلـهي مَـطْـلَعا

و ها هو يصل الى أعلى صُوَره الوصفية في "يا دجلة الخير"، وهو بعيد عنها ليخطط على قلبه الخفاق ماءها، وشواطئها، وسفحيها، فيناديها، ويشكو اليها، ويوعدها اللقاء[١٢٨]:

يـادجـلةَ الخيرِ يا نبعاً أفارقُـــهُ على الكراهةِ بينَ الحينِ والحينِ

حييتُ سفحَـكِ ظمـآناً ألـوذُ بِـــهِ لَوذَ الحَمائـمِ بين المـاءِ والطـيـنِ

يادجلة الخير: يا أطياف ساحرةٍ يا خمرَ خابيةٍ في ظِلِّ عُرجـونِ

وفجأة يصف دجلة الحب، دجلة الخير بوصف جديد فيه خشونة فيه شكوى سببتها الغربة و البعد:

يا سكتةَ الموتِ، يا إعصارَ زَوْبَعَةٍ يا خِنْجَرَ الغَدْرِ، يا أغصانَ زيتونِ

٤- الشعر السياسي:

يعتبر الشعر السياسي الغرض الاكبر حجماً في ديوان الجواهري، وذلك أن هذا الغرض هو الوسيلة والهدف معاً، لقد جمع بينهما، أي جمع بين روعة وقمة الفن الشعري وبين الاحتراف السياسي، والسياسة في مذهبه لا تعني سوى، الخوض في غمار الأحداث، الأحداث التي ترتبط بمصير الجميع، فهي ليست من باب التملق السياسي وارتداء زي السياسيين بغية مطالب ومكاسب، بل السياسة عنده المقاومة، عدم الركون، الغربة والابعاد، هذه هي مفرداته السياسية و الشعرية. وقد تشابكت وتلاحمت قصائده مع حياته السياسية، فلا شعر دون مقاومة الطغاة، و دون الوقوف في الصف الامامي في مظاهرات الشعب، ولا شعر دون تمجيد الشهداء والوقوف مع المظلومين والمنكوبين، ومقارعة أعوان الاستعمار وأذنابه، فهو سجل حافل بالتاريخ السياسي للعراق والأمة العربية. لا يمكن لمن يريد أن يدرس الأوضاع السياسية في العراق منذ مطلع

(١٢٨) الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره. ص ٤٢٨.

القرن العشرين وحتى الثمانينيات، تجاهله، شاعراً سياسياً، صانعاً للأحداث، محركاً للتطلع والآمال، حامياً للضعفاء والمحرومين، حاضراً في قلب المسيرة وكأنما السياسة عاجزة عن التخلي عنه ولا الجواهري بامكانه التجزؤ والانفراد دونها، ولعله الشاعر الذي امتاز بين أقرانه من فطاحل الشعراء لم يركن، ولم يهدأ، ولم يخمد وكانت عصاه في كل حال على أهبة الاستعداد ودون كل:

أنا حتفُكم أَلِجُ البيوتَ عليكم أغري الوليدَ بِشَتْمِكُم والحاجِبا

بعيداً عن كل ماقاله الجواهري تبقى الصورة السياسية والغرض السياسي هو الطابع الأكثر وضوحاً والأكبر مساحة في شعره.[١٢٩] واليوم لا يمكن للمؤرخ المنصف لتأريخ العراق الحديث أن يكون صورة موضوعية عن نضال الشعب العراقي في سبيل حرياته الديمقراطية وحقه في المواطنة الكريمة، والمشاركة في الحكم دون أن يقرأ ديوانه قراءة متفحصة، وأيا كانت الصورة التي يخرج بها فانه لا يستطيع أن يهمل دور الكلمة الشعرية هذه، لسنا نقصد بذلك أن شعره أصبح وثيقة تاريخية بالمعنى الضيق للكلمة، بل نعني أن شعره كان التعبير الفني الأكثر صدقاً ونضوجاً عن معاناة الشعب العراقي ومأساته الدامية، وبالأخص منذ أربعينيات هذا القرن وحتى الوقت الحاضر[١٣٠]. لقد ذاعت شهرته ذيوعاً كبيراً لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن وصل صوته الى ساحة شعر الوطن العربي كله، واقترن اسمه بتاريخ العراق السياسي الحديث [١٣١]. فقد صرخ للعراق، وصرخ لكل العرب في مصر، ولبنان، وفلسطين، والمغرب، والجزائر وسوريا، فقد استوعب فضلاً عن العراق ومصائبه هموم الوطن العربي:

يتبَجحوُنَ بأنّ مَوجاً طاغياً سَدُّوا عليهِ مَنافذاً ومَساربا

كذبوا فَمِلء فمِ الزمان قصائدي أبداً تجوبُ مشارقاً ومَغاربا

تستَلُّ من أظفارِهم وتحطُّ من أقدارِهمْ، وتثلُّ مجداً كاذبا

(١٢٩) الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره. ص٤٢٩-٤٣٠.

(١٣٠) الراضي، مجلة المدى، عدد ١٩.

(١٣١) علوان، عباس، تطور الشعر العربي الحديث في العراق. ص ٢٥٧.

ثم على عادته ينهض بالعرب ويدعوهم الى الوعي والفطنة وتجنب الاغفال والوقوع فريسة لخداع وخيانة الاعداء[١٣٢]:

نهضاً بني العرب العرباء إنَّكُم فرائسٌ بينَ أنيابٍ وأظفارِ

أَ رقدةً وهواناً أنَّ بعضَهما مما يفت بأصفادٍ وأحجارِ

ثم يوجه خطابه الى ناشئة العراق وشبابه باعتبارهم الأمل والعمود الفقري لمستقبل ثورة العراق:

لنا فيك يا ناشىءَ العراقِ رغائب أيسعفُ فيها دهرُنا أم يُمانعُ

ستأتيكَ يا طفلَ العراقِ قصائدِي وتَعْرفُ فحواهن اذ أنتَ يافِعُ

٥- الغزل:

عندما نقول الغزل في شعر الجواهري، طبعاً لا نقصد الغزل المعهود، ذلك الغرض الشعري الذي تطرق اليه جل شعراء العرب من الجاهلية الى الزمن المعاصر، فالغزل في أغراض الجواهري الشعرية يختلف تماماً، فهو ليس عرضاً شعرياً فنياً وحسب، بل له وجهة نظر خاص، تختص به في نظراته وتلقياته للمرأة. فللدخول في بحث غزله، يقتضي التريث، والأناة، أو بالاحرى لنتهيأ ولنقول الجواهري والمرأة، أو الجواهري والنساء، فله كما لبقية الشعراء، جولات ومواقف تتحدد في أطار جملة عوامل دفعته لنحت تمثال المرأة في قلبه وفي حياته. ذلك تعود الى تلك المسحة المزاجية الحادة الساخنة، المنقلبة التي لا تستقر على قرار، التي لا تهدأ، لا تخمد، تعترض بسرعة، تثور بسرعة، تعطي بسرعة، انها علاقة ذو اشكالية يصحبها الجدل المتعنف ما بين حدة المزاج والثورية الراسخة في الجواهري وما بين اللطافة والبداعة والجمال الساحر، التي يهويها ويذيب فيها أبداً. وطبعاً شعره في غزلياته المنحصرة به، لا يرتقي الى مستوى شعره في السياسة والاجتماع، فهو قياساً الى مجمل شعره يعد قليلاً، بل قليلاً جداً.

وحتى في قياس الابداع الشعري فان شعره في المرأة يظل دون بقية أشعاره مرتبة وبراعة، وان أضفاه بقدرته التراثية وخلفيته الثقافية. لا يمكن لغزله أن يذكرنا بغزل العرب و العذريين الذين ساروا في هيام الحب، ونسوا فيه حتى أنفسهم، بل كانت المرأة معابد للالهام والنشوان والسعادة

(١٣٢) الجواهري، محمدمهدي، الجواهري في العيون من أشعاره. ص ٦٥.

الروحية والنفسية، فهي عندهم أبداً نماذج سامية، وأثمار ممنوعة القطف، يكفي أن يحترق القلب ويهيم الشاعر وينظر اليها وان على بعد، لتكون قمراً وبدراً وأزاهير. فبمجرد التقرب منها أو لمسها واحساسها أو قطفها من شجرتها العالية، اذاً ذلك طعن في نموذجيتها وتقليل من هيبتها وتكفير لألهة العشق والعشاق. أما نموذج الجواهري، فالأمر يختلف كثيراً، ولتبيان العلاقة الجواهرية بالمرأة يتطلب في البدايه أن نلقي نظرة سريعة على المرأة في رحاب فكره، لنرى كيف ينظر الى المرأة، أو ما هي بواعث نظرته الخاصة، دواعيه وأسبابها، ثم نميل الى النموذج النسائي على أساس رؤيتهِ وخطابه فيه. حيث يمكننا تقسيم رؤيته للمرأة من خلال محورين: الأول: المرأة في البعد الاجتماعي والحضاري. الثاني: المرأة في دائرة الارتباط العاطفي [١٣٣].

(١٣٣) الجواهري، محمدمهدي، الجواهري في العيون من أشعاره. ص٦٦-٦٧.

الفصل الثالث: التطبيقات

التطبيقات:

مع إطلالة العصر الحديث، ظهر على مسرح الحياة الأدبية في الوطن العربي شعراء وطنيون، واكبوا حركة التحرر، وهي تخوض معارك الحرية والاستقلال. (والشعر الوطني نمط جديد في أدبنا العربي)[١٣٤] ومن رواده الأوائل: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومعروف الرصافي، وخليل مطران، وخير الدين الزركلي، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد العيد آل خليفة، وغيرهم.

أما مضامين شعرهم (فهي مستوحاة –أساساً- من ظروف المرحلة، حيث المدُّ الاستعماري العالمي على البلاد العربية، ونمو الوعي الوطني والقومي، وظهور المبادئ الجديدة والدعوة إلى إقامة حكومات برلمانية على الطراز الغربي)[١٣٥].

أما الجواهري فقد تميز عن شعراء الجيل السابق والجيل اللاحق بنشأته في بيئة وطنية، تمتعت بقدر ملحوظ من الاستقلال عن الحكم المركزي للاحتلال العثماني، وحافظت في الوقت نفسه على قدر ملحوظ من الثقافة العربية الأصيلة.

(ومع بداية الغزو الاستعماري الجديد، تطور مفهوم الوطنية خارج المصطلح الديني، بتأثير الثقافة الوافدة، ونمو الوعي السياسي، فاتصلت الوطنية بالجغرافيا، ولو أنها لم تتخلَّ عن الهوية الحضارية العربية، واكتسب النضال مضموناً سياسياً ومن هنا كان مطلب ثورة العشرين العراقية الاستقلال الوطني في ظل حكم عربي بمفهوم الهوية لا بمفهوم الدين)[١٣٦]. وقد شهد الجواهري في شبابه المبكر أول مواجهة بين الشعب العراقي وقوات الاحتلال البريطاني بدءاً من عام ١٩١٥، واستمرت حتى الانفجار الشامل في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠.

وكانت أولى تجاربه الشعرية الناضجة مطولته في تحية الثورة وقائدها الشيخ (مهدي الخالصي). فجسَّدَ – بلغة الشاعر – الثوابت الوطنية والإنسانية لحركة التحرر العراقية، والتي تطورت في مراحل النضال إلى قيم ومبادئ ثورية عبر تجارب الشاعر اللاحقة.

---

(١٣٤) اليحي، فرحان. ص١١١.

(١٣٥) المقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية، دارالعلم للملايين، ط٤، ١٩٧٤م، بيروت، ١٩٧٤م. ص١٤١.

(١٣٦) العلوي، هادي، مثال (معلم الوطنية) ، مجلة المدى، العدد(٢٣) ، يناير، ١٩٩٨م. ص١٤٦.

للجواهري قصائد رائعة تمثل حياته السياسية ويقدم صور ذات دلالات متعددة، وبذلك فانها تعكس الواقع السياسي الذي عاشه بنفسه الجواهري، نستطيع ان نجعل من هذه القصائد تأريخاً لحقبة من الزمن لأنها تروي مجريات الأحداث والوقائع وكانها شاهد حال تلك الأوضاع وبذلك فان القصائد فضلاًعن قيمته الفنية والجمالية لها قيمتها التأريخية، وتميز الجواهيري بألجرأة في مواجهة الأنظوة المستبدة والظالمة الحاكمة وكذلك في مصارعته للأستعمار والمحتلين للعراق ولمختلف الأقطار العربية وغير العربية واستبعاد الشعوب كالشعب العربي الفلسطيني والشعب الكردي وبذلك فأننا في معاينة شعر الجواهري بدقة نقتطف نماذج راقية من القصائد المثيرة والمدافعة عن حق الانسان بشكل عام أينما كان، تشمل قصائده معاني كلها تتعلق بالوقوف الجريئ تجاه الظلم واصحابه منها.

١- تمجيد البطولات
٢- استنهاض الهمم
٣- التحريض على الصمود والتحدي
٤- الأشارة بالأنتفاضات الشعبية
٥- الرد على المستائين
٦- الدفاع عن الحرية وحق المساواة

الى غيرها من المعاني السياسية الأخرى:

١- تمجيد البطولات:

فقد مجد البطولات الفردية في شخص الزعيم الوطني محمد تقي الدين الشيرازي[١٣٧]، أحد القادة البارزين في ثورة العشرين، حيث قدم مثالاً يقتدي بالتلازم بين الفكر والممارسة، إذ قال: [١٣٨]

ومـدبر رأي كــلف الــدهــر فناء بــما أعيا به، وهو ظالعُ
مهيبٌ إذا رام البــلادٌ بلـفـظةٍ تــدانتْ لــه أطرافهــنَ الشواسعُ
يــنام بــإحدى مـقــتلتيه ويتـقي بأخرى الأعادي فهو يقظان هـاجعُ
يطارحه وقعُ السيوفُ إذا مشى كما طارح المشتاق في الأيك ساجع

(١٣٧) الجواهري، محمد مهدي، مطبعة الأدب، ج١. ص٢٢٢.
(١٣٨) الجواهري، محمد مهدي، ج٣. ص٢٣٩.

٢ـ استنهاض الهمم:

ثم يستنهض الهمم والعزائم لمواجهة الاحتلال الأجنبي كما ينعي على التواكل والخمول، منبئاً عن نهضة تسري في أنحاء العراق: (١٣٩)

إلامَ التَّواني في الحَيَاةِ وَقَدْ قَضَى ... على المُتَـوانِي المَـوْتُ هَـذا التَّنَـازُعُ

إذا أنْـتَ لَـمْ تَأْكُـلْ أكلْـتَ وسُـبَّةٌ ... عَلَيْـكَ بِـأَنْ تُنْسَـى وَغَيْـرُكَ شَـائِعُ

تُحَـدِّثُ وِدْيَـانُ العِـرَاقِ بِنَهْضَـةٍ ... تُرَدِّدُهَـــا أسْـــوَاقُها والشَّـــوارِعُ

وَصَرْخَةُ أَغْيَارٍ لإنْهَاضِ شَعْبِهِمْ ... وإنْعَاشِــهِ تَسْــتَكُّ مِنْهَــا المَسَــامِعُ

كما يضع ثقته بالشباب الصاعد في لحظة التراجع والإنكسار، والتي تستحيل على أيدي الأجيال القادمة إلى جولات: (١٤٠).

لنَـا فيـكَ يَـا نَشْءَ العِـراقِ رَغَائِـبٌ ... أَيُسْـعِفُ فِيهَـا دَهْرُنـا أَمْ يُمـانِعُ

سَتَأتَيكَ يَـا طِفْلَ العِـراقِ قَصَـائِدي ... وَتَعْـرِفُ فَحْـواهُنَّ إذْ أنْـتَ يَـافِعُ

بَنِي الوَطَنِ المُسْتَلِفتِ العينَ حُسْنُهُ ... أَباطِحُــةٌ فَيْنَانَــةٌ والمتَالِــعُ(١٤١)

وأبرز دور النضال القومي ضد الاختراق العالمي، داعياً إلى الوحدة الوطنية وتجاوز الرواسب التاريخية، ومتطلعاً إلى الوئام الروحي بين الأديان:

فَيَـا وَطَنِـي إنْ لَـمْ يَحِـنْ ردُّ فَائِـتٍ ... عَلَيكَ فَـإنَّ الـدَّهْرَ مـاضٍ وراجِـعُ

كَمَا فرَّقَ الشملَ المُجمَّعَ حـــــادِ ... فَقَدْ يَجْمَـعُ الشَّـمْلَ المُفَرَّقَ جَـامِعُ

وَقَدْ خَبَّروني أنَّ في الشرقِ وَحْدَةً ... كَنَائِسُــهُ تَـدْعُو فَتَبْكِـي الجَوامِـعُ

---

(١٣٩) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، ج٣، دمشق، ١٩٨١م. ص٢٣٩.

(١٤٠) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، القصيدة. ص٢٣٩-٢٤٢.

(١٤١)) شائع، مشهور، المتالع: ج تلع، الوادي المنخفض، الديوان، ص٢٣٢- ٢٤١.

٣- التحريض على الصمود والتحدي:

ثم فلن يخسر الثورة، لأن العرب ما زالوا قادرين على استعادة حقهم، مادام فيها حميّة وشرف:

فَإِنْ ذَهَبَت طَيَّ الرِّيَاحِ جُهُودُنَا فَعَرْضُكَ يَا أَبْنَاءَ يَعْرَبَ نَاصِعُ
ثَبْتٌ وحَسْبُ المَرْءِ فَخْراً ثَباتُهُ كَمَا ثَبَتَتْ في الرَّاحتينِ الأَصَابِعُ

وسيتنكر حرائم الأستعمار وأساليب والوحشية، مع أنه يعتنق ديناً يأمره بالتسامح والمحبة والسلام، أليس هذا اعتداء على الإنسانية كلها ؟!

عَلَى أَيِّ عُذْرٍ تُحْمَلُونَ وَقَدْ نَهَتْ قوانِينُكُمُ عَنْ فِعلِكُمْ والشَّرائِعُ
عَلى رَغْمِ رُوحِ الطّهْرِ عيسَى أَذَلْتُمُ بَرَاءَ دِمَاءٍ هَوَّنَتْهَا الفَظَائِعُ

٤- الاشارة بالأنتفاضات الشعبية:

ويشيد بالانتفاضات الشعبية والمعارك البطولية في الكوفة وساحات النضال الأخرى، مستوحياً منها قيم الحق والعدل، منذراً المحتلين بوعد قريب:

وَفي الكُوفةِ الحمراءِ جاشَتْ مَراجِلٌ مِنَ المَوْتِ لَمْ تَهْدأ وَهَاجَتْ زَعازِعُ
أديرَتْ كُؤوسٌ مِنْ دِمَاءٍ بَرِيئَةٍ عَلَيْهَا مِنَ الدَّمعِ المُدالِ فَواقِعُ
هُمُ أنكَأوا جُرْحَاً فأعْيَتْ أَساتُهُ وَهُمْ أَوْسَعُوا خَرْقَاً فأعْوَزَ رَاقِعُ
بِكُلِّ مُشِبّ لِلْوَغَى يَهْتَدِي بِهِ كَمَا لاحَ نَجْمٌ في الدُّجَنَّةِ سَاطِعُ
وَقَدْ بُحَّ صَوْتُ الحَقِّ فِيَها وَلَمْ يَكُن ليسمع إلاَّ مَا تَقُولُ المَدافِعُ

(يعد الجواهري من شعراء الثورة العراقية البارزين، أظهر من خلالها الدوافع الوطنية والتضحيات الجسام، كما أعطى صورة عن الالتحام الوطني والديني، ممثلاً بتحالف رجال الدين والوطنيين) [١٤٢].

(١٤٢) الدجيلي، عبدالكريم، المصدرنفسه. ص١٧٦.

ولقد كشفت ثورة العشرين عن وضوح الرؤية، فالحكومة الجديدة جاءت مخيبة للآمال، لأنها في ظل الانتداب البريطاني ولأن الفئات الوطنية التي شاركت في الثورة، عزلت عن مواقعها، وبعضها نفي خارج الوطن، وسجن آخرون، واتخذ الصراع شكل النضال السياسي، نظراً لطبيعة الحكم الوطني المسيس من الخارج، فتداخل الوطني بالسياسي، منصباً على قضايا الاستعمار والديمقراطية. ولم يتخلّ الأدب عن هذه القضايا، فقد سجل حضوراً فاعلاً، مستوحياً مادته من الأحداث الوطنية، ومن الفطرة والطبيعة التي لا تعرف مداخل السياسة ومخارجها.

فها هو الشاعر ينتقد الحكام في العراق، ويبدي سخطاً وتذ مراً من همج تسنموا الحكم وطمعوا فيه، وإن هذه البلاد - في منظوره - لم يخلق حتى الآن لها رجال يسوسونها، فهي لا تزال حقلاً للتجارب، تكشف للإنسان العراقي والعربي بعامة نوعية هؤلاء المخادعين والطامعين الذين ابتليت بهم الشعوب الضعيفة، كما في قصيدة (سبحان من خلق الرجال) التي نشرت عام ١٩٢٤: (١٤٣)

سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الرِّجَالَ فَلَمْ يَجِدْ رَجُلاً يَحِقُّ لِمَوْطِني أنْ يُخْلَقَا
مَا إن يَزالُ مُرشَّحاً لأُمُورِهِ مُتَجَبِّراً أو طامِعَاً أو أَحْمَقَا
وَطَني وَداؤك أنْفُسٌ مَمْلُوءَةٌ جَشَعَاً فَمَنْ لِي أنْ تُبِلَّ وتُفْرِقَا
بَلْوَى الشَّعُوبِ مَخَادِعُونَ إذا ادَّعُوْا للنُّصْحِ كَذّبتِ الفِعَالُ المَنْطِقَا

وفي مقطع آخر يحلم بوطن يرتقي في معارج التقدم الحضاري بعد يأس طويل: (١٤٤)

وَطَني وَمَنْ لَكَ أنْ تَعُودَ فَتَرْتقي مِنْ بَعْدِ مَا أعْيَا وعَزَّ المُرتَقى
لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الّذِي أنبتَّهُ مَا حَلَّ فيك مِنَ الأذى مَا أَوْرَقَا

ولقد كان للثورة العراقية وما أعقبها من وقائع تأثير على الأدب والفن، بوصفها مفصلاً تاريخياً في حياة الشعب العراقي، حيث تخلى الأدباء عن النظرة التقليدية للأدب، نتيجة تنامي الوعي السياسي، فظهر شعراء وطنيون، ربطوا مصيرهم بمصير الشعب والوطن كالجواهري، والحبوبي، والرصافي، والشبيبي، وسواهم.

---

(١٤٣) الجواهري، محمد مهدي، ديوانه(بين الشعر والعاطفة) ، مطبعة النجاح، بغداد، ج٣، ١٩٢٧م. ص١٧. ص٤٠٢، الإبلال: الشفاء، الإفراق: الشفاء من المرض.

(١٤٤) الجواهري، محمد مهدي، ديوانه، ج٣. ص٧٥٢. ديوان الشعرو العاطفة، مطبعة النجف، ١٩٣٥م. ص٢٦١، ديوان الجواهري، ج٣. ص ٣٩- ٤.

وقد كانت مرحلة الحكم الوطني في العراق ثرية بالأحداث الجسام والهزات والانتفاضات الشعبية ضد المعاهدات الظالمة والاختراق السياسي والاجتماعي، فهذا الجواهري يربط بين الاستعمار والنظام الحاكم، محذراً من التواطؤ مع الدخيل، وهذه بدايات تحول في الوعي، كما في قصيدة (ثورة الوجدان) عام ١٩٢٨م: (١٤٥).

العُـذْرُ يَـا وَطَنـاً أَغْلَيْـتُ قِيمتَـهُ عَـنْ أن يُـرَى سِـلْعَةً للبَـائِعِ الشّـارِي
واخْشَ الدَّخيل فلا تَمْدُدْ لَـهُ يَداً فَيَـــا لَـــه مِـــنْ جَشِـــعٍ غـــدَّارِ
يَـا للرِّجَـالِ لأوْطَـانٍ مَوَزَّعَـةٍ فـي كُـلَّ كَـفٍّ مُهـانِ الـنّفْسِ دَعَّـارِ

٥- الرد على المشائين:

وحين نشرت (المس بل) نائبة المندوب البريطاني في بغداد، مذكرات، شهرت من خلالها بالشعب العراقي، حيث مثّلت دوراً خطيراً في تثبيت مواقع الحكم الملكي، وذلك عن طريق الاعتماد على فئات رجعية لا تملك مؤهلات ثقافية، فتصدى لها الجواهري بعنف وهاجم سياستها الفاشلة، مشيداً بالشعب العراقي في قصيدته (على الخاتون المس بل) نشرت عام ١٩٢٩: (١٤٦)

قُـلْ لِلْمِـس فـورةِ العِـرْضِ الّتـي لَبِسَـتْ لِحُكْـمِ النَّـاسِ خَيْـرَ لِبَـاسِ
إنْ كَانَ سَرُّكِ في العِراقِ بأنّ تَرَيْ نَاسَـــاً بهـــا مَضْـــروبَةً بأنَـــاسِ
فَلَـكِ التَّعَـزِّي عَـنْ سِيَاسَـتِكِ الّتِـي عَـادَتْ عَلَيْـكِ بَصَـفْقَةِ الإفْـلاسِ
خُطَطٌ وَقَفْتِ لَهَا حَيَاتَكِ أصْبَحَتْ شُـؤْمَاً عَلَيـكِ وَأنْـتِ فـي الأرْمَـاسِ
مِـلءُ العِـراقِ أَمَاجِـدٌ لَـوْ لاَهُـمُ هُـوَ مِثْـلُ بُنيَـانٍ بِغَيْـرِ أَسَـاسِ

(١٤٥) الجواهري، محمد مهدي، المرتقي، المقصودهنا، التطور الحضاري، ج٢. ص٤٠٣.

(١٤٦) لقد كانت (المس بيل) ركيزة الحكم الرجعي بالعراق، نشرت مذكرات في لندن باللغة الإنكليزية في مجلدين بعنوان يحمل اسمها، وقد خصصت المجلد الثاني تجربة الاحتلال بدءاً من ١٩١٧-١٩٢٦، توفيت في ١٩٢٦/٧/٢١، أسس متحفاً ١٩٢٣ وصنع لها تمثال تخليداً لذكراها، أزاله المتظاهرون في ثورة تموز ١٩٥٨. الأرماس: القبور. ص٢٦٢.

وانطلاقاً من وطنية الجواهري، وهو ينخرط في قضايا عصره، ويؤرخ لها، لم يقدم أي تنازل، استجابة لراهنية الحدث والشعر معاً.

فقد نظم قصيدة بمناسبة تصريح تشرشل بالانتداب على العراق، وكان ذلك يوماً مشهوداً في البلاد، حيث أضرب الشعب، وأعلن يوم عيد الفطر حداداً، احتجاجاً على هذا التصريح، كما قامت مظاهرات في أنحاء العراق، معلنة سخطها ورفضها لكل شكل من أشكال الاستعمار.

ولم يقتصر موقف الشاعر على مواجهة الغزو الخارجي والتنديد بأساليبه، بل حث الملك على الالتزام بقضايا الشعب والأمة، مخاطباً إياه: (١٤٧)

قُـمْ مـاشِ هَـذا الشَّـعبَ فـي خُطُواتِـهِ ... لاَ تَتْـرُكَنْ وَطَنَـي بِغَيْـرِ سِـنَادِ

صَـرِّحْ لهُـمْ بِالضِـدِّ مِـنْ آمَـالِهِمْ ... أَوَلَسْـتَ مِمَّـنْ أفْصَـحُوا بِالضَّـادِ

وَلَقَـدْ شَـجَانِي أن تـرى فـي مَـأْتَمٍ ... أمَّ الخَلائِـفِ مَرقِـدَ الْوفّـادِ

سَلْ "شِرْشِلاً" كَيْفَ الهَوَى أغْرَى بِهِ ... حتَّـى اصْـطَفَاكَ مُـتَمِّمَ الأمْجـادِ

ومَـواطنٍ حَـدَبَتْ عَلَـى اسْـتِقْلالِهَا ... بالسِّـيفِ تُوضِـعْهُ يَـدُ الأكبَـادِ

أبَنِـي الشَّـعوبِ المُسْتَضَـامَةِ نَهْضَـةً ... تُرْضِـي الجُـدُودَ فَـلاتَ حـينَ رِقَـادِ

هَـذا تُـراثُ السَّـالفينَ وديعـةٌ ... لا تُخْجِلُـوا الأجْـدَادَ بالأحفَـادِ

وبهذا الاتجاه، خرج الشاعر عن الموقف التقليدي عند معظم شعراء النهضة حين جمع بين الاستعمار والحكم الوطني في المصالح والغايات.

ومهما تعددت مواقف الجواهري وتناقت فهي في صميم الأحداث والمتغيرات، ولقد تركت هذه الوقائع تأثيرها في فكر الشاعر، فأغنت رؤيته للوطن، ووسّعت من أفقه، وربطته بقضايا وطنه وشعبه. إلاّ أن رؤية الجواهري للموضوع، هي التي تنقذه من الحماس الطاغي وشراك الشعارات، لأن الشاعر لا يتناول الموضوع إلاّ من خلال لوحات دامية في صراعه ضد المستعمرين والحكام. كقوله في قصيدة (هاشم الوتْري) ١٩٤٩: (١٤٨).

(١٤٧) الجواهري، محمد مهدي، ديوان جواهري، ج٢. ص٢٦٥-٢٦٦.

(١٤٨) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، مطبعة الأداب العلوق، ج١. ص ٢٧٩-٢٨٤.

شُلّتْ يَدُ المُسْتَعْمِرينَ وَفْرضُـهَا هَـذي العُلـوقُ علـى الـدِّماءِ ضَـرائبَا
قَـدْ قُلْـتُ للشَّـاكينَ إنَّ "عَصَـابَةً" غصـبَتْ حُقـوقَ الأكثـرينَ تَلاعُبَـاً
بِمُمَلكِّـــينَ الأجْنَبـــيَّ نُفُوسَـــهُمْ وَمُصَّـعِدينَ علـى الجُمـوعِ مَنَاكِبَـا

وهكذا يبقى الجواهري في شعره الوطني يتأرجح بين التقرير والإيحاء، وبين زمن الثورة وما بعدها، من خلال التوتر القائم بينهما، فقد انطلق من نزعتين جامحتين هما: التمرد، والانحياز، إلا أنهما غير منفصلتين في فضاء مطلق، بل تتحركان رهن ضوابط نسبية وأهداف محددة، فالتمرد غايته التحول والتغيير لكل ماهو قامع وسائد ومهيمن، والانحياز مرماه الوقوف المطلق إلى بياض الناس كما يحلو أن يسميهم.

٦- الدفاع عن الحرية وحق المساواة:

وتبنّى القيم الوطنية والإنسانية المثلى كالحق والحرية والمساواة، وحملها طوال رحلته الفنية والواقعية، مع أن ثمة مواقف مهادنة واستسلام للجبهة المعادية، ولكن تحت ضغوط مادية واجتماعية آسرة.

غير أن للجواهري قصائد ناضجة مثل "الدم يتكلم بعد عشر"، حيث شخص العواطف من خلال الدماء التي سالت في ثورة العشرين، كقوله: (١٤٩).

بَعْـدَ عَشْـرٍ مَشَـتْ بِطَـاءً ثِقَـالا مِثْلَمَـا عَاكَسَـتْ رِيَـاحٌ شِـراعا
لَـوْ سَـأَلْنا تِلْـكَ الـدِّمَاءَ لقَالـتْ وَهْـيَ تَغْلـي حَمَاسَـةً وانـدفَاعَا
مَـلأَ اللهُ دُورَكُـمْ مِـنْ خَيَـالي شَـبَحَاً مُرْعِبَـاً يَهْـزُّ النَّخَاعَـا
لَيْـتَ أنِّـي مَـعَ السَّـوائِمِ فـي الأرْ ضِ شَـرودٌ يَرْعَـى القَتَـادَ انتِجاعَا
لا تـرى عَيْنَـي الـدِّيَارَ ولا تَسْـ مَـعُ أذْنـي مـا لا تُطيـقُ اسْـتِمَاعَا
جُـلْ مَعِـيَ جَوْلَـةً تُرِيـكَ احتقـارَ الـ شَّـعْبِ والجَهْـلِ والشَّـقاءِ جِماعَـا
واستمعْ لا تَجِـدْ سِوى نبضـاتِ الـ قَلْبِ دَقّتْ خَوْفَ الحِسَابِ ارتِياعا
ألهِـذَا هَرْقتُمـونِي وأضْـحَى ألـفُ عِـرْضٍ وألـفُ مُلـكٍ مَشَـاعا
أفَوَحْـدِي كُنْـتُ الشَّـجَاعةَ فِـيكُمْ أوَ لا تَمْلِكُـونَ بَعْـدُ الشَّـجَاعا

(١٤٩) الجواهري: ديوانه، ج٣، هرقتموني: أسلتوني، ارقتوا دمي. ص١١٨- ١١٩.

فالصوت الثاني (الدم) هو الذي أشاع في النص حيوية، لا يخلو من عنصر الدهشة والإثارة في ذهن المتلقي، فقد عرّى الحكام بطريقة موحية. نفذت إلى القارئ، كما عمق الإحساس بالكلمات التي تعتمد على حقائق أولية ومبدأية بسيطة مثل (احتقار الشعب، الجهل، القمع والإرهاب، خوف الحساب، ارتياعا).

هذه القرائن الحسية والعاطفية، جعلت الشاعر قريباً من الشعب، في بيت لخصه (في ذكرى المالكيِّ)، عام ١٩٥٧: [١٥٠]

أَنَا "العراقُ" لِساني قَلْبُهُ ودَمي فُراتُــهُ وكِيــاني مِنْــهُ أشْــطارُ!

فالوطن يلتئم ثم ينشطر من جديد، في جدل مستمر، إلى أن يتم الالتئام الفعلي، هذا الإيقاع الداخلي، والتناغم مع أحداث الوطن، في شعر الجواهري، لأن العراق والشعب والشاعر نفسه في صراع مع الاستعمار والحكم والتخلف.

ولقد اتسمت حلول الشاعر للقضايا الوطنية بالعنف المسلح، وذلك بتأثير نشأته في أجواء القتال ضد الغزو الخارجي، وكان هذا الخيار الأخير مبدياً سخرية من الحلول السلمية التي يسميها أنصاف الحلول، ومن السياسيين الذين يجمعون بين اللين والشدة مع العدو.

والاستعمار عند الجواهري خط أحمر في جميع أشكاله وتحولاته، لكنه وهو يصطدم بهذا الخط الأحمر ويرجع إلى وعيه، فيصير الأحمر وهو خط الوطن المصان بعرضه، لأنه أسرته وملاذه، ولم يكن لديه الاستعداد لاختراق أولي نعمته: [١٥١]

وَطَنَــي الغَضــيضُ إهابُــه أصــــبو لـــــه وأَهَابُـــــهُ
إنْ سَـــاءَ مَبْــدأ مَـــوْطِنِي فَعسَـــــى يُسَـــــرُّ مَآبُـــــهُ
هَيْهَــاتَ يَــنْهَضُ مَــوْطِنٌ حُكْـــــمُ القَســـــيِّ دآبُـــــهُ

ويتداخل السياسي بالاجتماعي في شعر الجواهري، لأنهما وجهان لقضية واحدة، ويرتبط أحدهما بالآخر ارتباطاً جدلياً، يدخل في تركيبها عناصر متعددة: سياسية واجتماعية وثقافية، وأخرى علمية واقتصادية، وهي تشكل – في صلبها – مسألة حضارية كبرى، تتمثل في الصراع بين التخلف والتقدم، أو بتعبير أوضح بين الأقوياء سواءٌ كانوا حكاماً متسلطين، أم أنظمة طاغية، أم تنظيمات رجعية إرهابية متواطئة، أم أغنياء جبابرة، وبين الضعفاء، أيّاً كان منبتهم من العمال أو

(١٥٠) الجواهري، محمدمهدي، ديوان الجواهري، ج٢. ص٥٢٣-٥٤٣.
(١٥١) الجواهري، محمدمهدي، ديوان الجواهري، ج٣. ص ٢.

الفلاحين، أو الشرائح الفقيرة، أو الشعوب المضطهدة.

ولقد تمخضت ثورة العشرين العراقية عن تكوين الدولة الجديدة، ولكنها في ظل الانتداب البريطاني، مما أدى إلى اتساع الهوة بين الحكومة والشعب، بسبب التبعية الأجنبية، واتخذ الصراع شكل النضال السياسي، نظراً لطبيعته المزدوجة (التواطؤ بين النظام الحاكم والاستعمار).

فها هو الدجيلي ينتقد تعيين الجواهري في البلاط قائلاً: (كان الجواهري على علم بمؤتمر القاهرة الذي ترأسه تشرشل، وانبثق عنه هذا الحكم، إلا أنه بعد أن نكب في وزارة المعارف، وأخرج منها، فهو يريد أن يجعل له سنداً يحميه، ويردّ عنه غائلة الأعداء والحاقدين، ولا سنداً من البلاد، راح يمدح الملك ويمجده، مع علمه أن عرش الملك بني على أساس بريطاني بحجارة عربية)[١٥٢].

وهذا مؤشر على ثنائية (الحكم والانتداب). إلا أن الجواهري كان قبل التعيين في القصر، مع المعارضة.

ومن أهم الأحداث الوطنية - في ذاك الوقت - التصديق على المعاهدات الجائرة بين العراق والإنكليز، وإنشاء المؤسسات للبلاد: كالدستور، والبرلمان ومجلس الأعيان، والصحافة، وتنظيم البنية التحتية للحكومة وغيرها من دعائم النظام. فقد عارض الجواهري الدستور بشدة، واعتبره ستاراً يخفي ممارسات السلطة، وقناعاً يخدع فئات الشعب العراقي، وهو يرى أن الدساتير في الدولة المتحضرة دليل تستنير به في الشدائد والمحن في قصيدة (يدي هذه رهن). نشرت عام ١٩٣١: [١٥٣].

وَمَـا رَفَـعَ الدُّسْـتُورُ حَيْفَـاً وإنَّمَـا ... أتْونَـا بِـهِ للنَّهْـبِ ألْطَـفَ سُـلّمِ
نَلـوذُ بِـهِ مِـنْ صَـوْلةِ الظّلْـمِ كَالّـذي ... يَفِرُّ مِنَ الرَّمْضَـاءِ بالنَّـارِ يَحْتَمِـي
بَضَـوْءِ الدَّسَـاتيرِ اسْـتَنَارتْ مَمَالِـكٌ ... تَخَـبَّطُ فـي ليـلٍ مِـنَ الجَهْـلِ مُظْلِـمِ
وَهَا نَحْنُ في عَصْرِ مِنَ النَّورِ نَشْتَكي ... غَوايـةَ دُسْـتُورٍ مِـنَ الغِـشِّ مُـبْهَمِ
هُنالِـكَ فـي "قَصْـرٍ" أعـدَّتْ قِبابُـهُ ... لتـدجين بطّـالينَ هُـوجٍ ونُـوَّم
تُصِـبُّ علـى الشَّـعْبِ الرَّزايـا وإنَّمـا ... يَصـبُّونَها فيـهِ بشَـكْلٍ مُـنَظّمِ

(١٥٢) الدجيلي: الجواهري، شارع العربية، ج١. ص٤٣٠.
(١٥٣) الجواهري، محمد مهدي، ج٤. ص٢٢.

وفي قصيدة الانانية التي نظمت عام ١٩٣٢ ، وكان الشاعر يمر في ظروف حرجة جداً،حيث ابرزت عيوب الدستور واخطاره ، فهو يتقمص شخصية الحاكم وكانه القامع والمقموع: (١٥٤).

لَجَأتُ إلى الدُّسْتورِ في كُلِّ شدةٍ أرى فيهِ لي "نابَاً، حديداً ومِخْلَبَا"
وجَرَّدْتُهُ سَيْفاً أمَضَّ وقيعةً مِنَ السَّيفِ هِنْدِيَّاً وأمْضَى مَضارِبَا
أهَدِّمُ فيهِ مَجْلِساً لا أريده وإن ضَمَّ أحراراً غَيارى أطايبا
أحَشِّدُ فيهِ أصْدِقَائِي وأسْرَتِي كَمَا ضَمَّ بَيْتٌ أسرةً وَصَواحِبَا
أرشِحُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشعبُ باسمِهِ أبَاعِدَ عَنْهُ لُفِّقُوا وأقَارِبَا
أسَخِّرُهُمْ طَوْراً لِنَفْسِي وتَارَةً أصُبُّ عَلَى الأوْطَانِ مِنْهُمْ مصائبا
وَأغْرَيْتُ بِالتَّلْطيفِ أسَحَرُ شَاعِراً وَأغْدَقْتُ بالأموالِ أخْدَعُ كَاتِبَا
فَهَذا يُسَمّى الجَوْرَ حَزْماً وَحِكْمَةً وَذلِكَ يَعْتَدُّ المَخَازِي مَنَاقِبَا

هذه التفاصيل الدقيقة، تدل على خبرة الشاعر الواسعة في شؤون الحكم، حيث كان شريكاً في الديوان الملكي، عرف من خلاله ملابسات السلطة وأساليب الحكام. كما سخر من الدساتير، لأنها عقيمة، لا تستجيب لحاجات الفرد وتطلعاته: (١٥٥)

"ودَسَاتيرٌ" مُمَخْرِقَةٌ عَشَّشَتْ فيهَا العَناكِبُ
وتَعطّلَ الدّستورُ عن أحكامه من فرط ما ألوَى به الحكامُ(١٥٦)

كما أن الشاعر في هذا النص حاقد على النظام لأنه محاصر وموضوع تحت الرقابة، فانقلب على الواقع ساخطاً، حيث سدت الأبواب في وجهه، ومنع من التوظيف في مؤسسات الدولة.

ثم انتقد أعضاء البرلمان انتقاداً ساخراً في قصيدة (البرلمان) ١٩٢٥: (١٥٧)

وَلَقَدْ أقُولُ لِرافِعينَ أصابِعَاً لَيْسَ تَحِسُّ كَأنَّهَا أحْطَابُ

(١٥٤) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١. ص٥٣٧-٥٤٠-٥٤١.
(١٥٥) الجواهري، المصدرنفسه. ص٥٤٠-٥٤١.
(١٥٦) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١، ص٦٨-٢٣٥.
(١٥٧) الجواهري، المصدر نفسه. ص١٢٥.

رَهْـنُ الإشَـارة تَخْتَفـي أو تَعْتَلِـي ويَنَـال مِنْهَـا السَّـلْبُ والإيجَـابُ

مَــاذَا نَــوَيْتُمْ سَــادِتي هَــلْ أنْــتُمُ بَعْـدَ الـرّئيسِ كَعَهْـدِهِ أخْشَــابُ

هَلْ تنْهضُـونَ إذا اِسْتُثيرتْ نَخَـوَةٌ أَو تجْمَــدونَ كَــأنَّكُمْ أنْصَــابُ

ثم عبر عن أحاسيس الشعب العراقي، وخيبته المريرة من هذا الحكم المبرقع في الانتخابات المزيفة التي جرت باسم الديمقراطية، بعد تلك المعارك التي خاضها بدمائه، ليحل العدل محل الظلم، والغنى محل الفقر، كقوله في قصيدة (ضحايا الانتخاب ١٩٢٨): [١٥٨]

فَيَـا لَـكَ مَوْطِنَـاً واليَـأسُ يَمْشِـي فَلَــوْ رَامَ الرَّجَــا حُلمــاً لخَابَــا

أرادَ الــرأسَ لَــمْ يَحصَــلْ عَلَيْــهِ مُكَــابَرةً ولا لَــزِمَ الــذّنَابِى

وَيَــا أَسَــفَاً لِشَــعْبٍ مِــنْ خَيَــالٍ يَظُـنُّ العَـيْشَ أقـربَ مِنْـهُ قَابَـا

ويحذر المتزعمين الذين يظنون بأن الجو قد صفا لهم، وأن الأمور قد توطدت لحكمهم، وينذرهم بالجو السياسي المشحون بالمآسي والعقبات ضدهم. ولو أن جميع الشعب علم نوايا النواب، وما يضمرونه له من حقد وسوء، لم يطالب بإجراء انتخابات بعد تضحيات جسام في سبيل إقامته: [١٥٩]

دَمُ الأَخَـوْينِ فـي الكَفنَـينَ يَغْلِـي خِطَـابٌ لَـوْ وَعَـى قَـوْمٌ خِطَابَـا

سَـيَعْلَمُ مَـنْ يَخَـالُ الجَـوَّ صَـفْواً بَــأنَّ الجَــوَّ مَمْلُــوءٌ ضَــبَابَا

وَيعْـرفُ مَـنْ أرادَ صَـميمَ شَـعْبِي رَميَّــا أيَّ شَــائِكَةٍ أصَــابَا

وَلَـوْ كَر مِيْهِمَـا مَلَؤُوا الصَّحَارى دَمَــاً سَــالَتْ لَمَــا رأتِ انقلابَــا

والشاعر في البيت الأخير كأنه قد يأس من هذا الحكم على قرب عهده، وهذا ملمح من ملامح إحساس الشاعر بالغربة عن السلطة، لأن المشاركة السياسية عملية اجتماعية ديمقراطية، يلعب الفرد من خلالها دوراً فاعلاً في وضع الأهداف العامة للمجتمع، كما يسهم في وضع الوسائل لتحقيق تلك الأهداف كالانتخابات والترشيح وممارسة العمل السياسي، بعيداً عن العنف والإرهاب ومن هذا المنظور تتكشف طبيعة النظام الحاكم في العراق، ولعل أجمل تصوير

(١٥٨) الجواهري، (بين الشعر والعاطفة) . ص١٣٣.

(١٥٩) الجواهري، محمد مهدى، ديوان الجواهري، ج١، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٥م. ص ١٣٣.

للحكومة العراقية ما جاء في قصيدة (أبو التَّمّن) عام ١٩٤٦: [١٦٠]

وَرَوايَـةٍ حَبَـكَ الزَّمـانُ فُصُـولَهَا فَبَـــدَتْ لَنَـــا مَمْسُـــوخَةَ الأدْوارِ
مِنْ شَرِّ مَـا اختلقَ الرُّواةُ ولفّقَتْ حِيَلٌ، وَضَمَّتْ دفَّـــةُ الأَسْفَـــارِ
وَمُفَـــرِّقينَ مَـــذَاهِبَاً وعَنَاصِـــراً مَتَكَلّفـــينَ سيَاسَـــةَ اسْـــتِعْمَارِ

تمرد الجواهري يبدأ أساسه من قاعدة يؤمن بها المجتمع، ولذلك تحظى مواقفه بالقبول، وتكون أهدافه آنية، كما يستند إلى حقائق أولية ملموسة، فهو يطعن في الحاكمين، ويجرّح بالمتزعمين اللاهين عما يجري في البلاد بالمصالح الشخصية، ثم ينعي على الدخلاء الذين استحوذوا على الحكم، فكانت بيدهم وحدهم مصائر البلاد والعباد كقوله في قصيدته "ثورة الوجدان" عام ١٩٢٨: [١٦١]

وَطعْمـةٍ مِـنْ دُعَـاةِ السُّـوءِ خـائِرَةٍ لَيْسَـتْ بِشَـوْكٍ إذا عُـدَّتْ ولا غَـارِ
مَـأْجُورَةٍ لـم تَقُـمْ يَوْمـاً ولا قَعَـدَتْ إلاّ علـى هَتْـكِ أعْـراضٍ وأَسْـتارِ
وَطعْمـةٍ مِـنْ دُعَـاةِ السُّـوءِ خـائِرَةٍ لَيْسَـتْ بِشَـوْكٍ إذا عُـدَّتْ ولا غَـارِ
مَـأْجُورَةٍ لـم تَقُـمْ يَوْمـاً ولا قَعَـدَتْ إلاّ علـى هَتْـكِ أعْـراضٍ وأَسْـتارِ
فـي كُـلِّ يَـوْمٍ بأشْـكَالٍ وأنْمِطَـةٍ وَكُـــلِّ آنٍ بَهْيئَـــاتٍ وأَطْـــوارِ
يُحصُـون تَـاريخَ أقـوامٍ وَعِنْـدَهُمُ صَـحَائِفٌ مُلئَـتْ بِـالخِزْيِ والعَـارِ
وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الحَقِّ فـي بَلَدٍ للإفْـكِ والـزُّورِ فيـهِ ألـفُ مِزْمَـارِ
مَـاذا السُّـكوتُ ألا تُهْتَـاجُ نَخْـوَتَكُمْ إنَّ العُروبَـةَ قَـدْ حُفّـتْ بِأَخْطَـارِ

ظهور الجمعية والأحزاب السياسة وما تتخضت عنه:

وفي منتصف الثلاثينات تصاعد المد الوطني، وظهرت أحزاب وجمعيات سياسية ذات محتوى ثوري كجمعية الأهالي، وكان الجواهري مؤيداً للمعارضة، متأثراً بالأفكار اليسارية – حيث كرس، معظم قصائده في ضرب هياكل السلطة كالفساد الإداري، وما شاع من رشوة وثراء

(١٦٠) الجواهري، محمد مهدي، ديوانه، ج٢. ص٤٥٦-٤٥٧.

(١٦١) الجواهري: ج٢. ص٧٥٤، ديوان الجواهري، مطبعة الرابطة، بغداد، ط٥، ١٩٦١م. ص٤٥٧.

غير مشروع ونظام ضرائبي، أرهق كاهل الشعب، ناهيك عن توزيع مراكز الحكم على الموالين للنظام، فضلاً عن الامتيازات التي منحت لهم، مما أثار غضب الشاعر ونقمته في قصيدة "لعبة التجارب" عام ١٩٣٤: (١٦٢).

مَشَـى الشَّـعْبُ مَنْهُـوكَ القُـوَى وَاهِـنَ الخُطَـى كَواهِلُـــهُ قَـــدْ أَثقَلَـــتْ بِالضَّـــرائِبِ
فَكَـــانَ لِزامَـــاً أنْ تَحُـــوزَ عِصَـــابَةٌ تَفَيَّـتْ بِظِـلِّ الجَـاهِ أَعْلَـى المَراتِـبِ
وَكَـــانَ لِزامَـــاً أنْ تَـــتِمَّ سِـــيَادَةٌ عَلَيْـــهِ لأَبْنَـــاءِ "الـــذّواتِ" الأَطَايِـــبِ
وَكَـــانَ لِزامَـــاً أنْ تُقَـــادَ جُمُوعُـــهُ حُفَـــاةً عُـــرَاةً مُهْطِعِـــينَ لَراكِـــبِ"
هُـوَ الْحُكْـمْ إنْ حَقَّقْـتَ لُعْبَـةُ لاعِـبٍ يُســـمُّونَ تَرْقيعاتِـــهِ بِالتَّجَـــارِبِ
فَتَجْرِبَـــةٌ لِلْحُكْـــمِ خَلْـــقُ مُوظّـــفٍ وَتَجْرِبَـــةٌ للشَّـــعبِ تَخْـــريجُ نَائِـــبِ
فمـــا دامَ حكـــمٌ للتجـــاربِ راهـــنٌ فلـيسَ لنـا غيـر انتظـار العواقـبِ
وإن بـــــلاداً بالتجـــــاربِ هُـــــدِّمَتْ وَضـــيعَ أهْلُوهَـــا لإحْـــدى العَجَائـــبِ

وقد استحدثت السلطة مؤسسات قمعية من جيش وشرطة وأمن سري، ومنحت له امتيازات وكمت أفواهاً وكأن العراق سجنٌ كبيرٌ، فراح الشاعر يهاجم سياسة العنف بجرأة وصراحة في قصيدة "يوم الشهيد" عام ١٩٤٨: (١٦٣)

فـــالوَعْيُ بَغْـــيٌ والتَّحَـــرُّرُ سُـــبَّةٌ والهَمْـــسُ جُـــرْمٌ والكَـــلاَمُ حَـــرامُ
وَمُـــدَافِعٌ عَمَّـــا يَـــدِينُ مُخَـــرِّبٌ ومُطَالِـــبٌ بَحُقُوقِـــهِ هَـــدَّامُ
فَكرامَـــةٌ يُهـــزَا بِهَـــا وَكَرامَـــةٌ يُرثَـــى لَهَـــا وَكَرامَـــةٌ تُسْـــتَامُ
وَمُعَاقَـبٌ والسُّـوْطُ يُلهِـبُ ظَهْـرَهُ وَمَعَـــذّبٌ بَجِراحِـــهِ وَيُـــلامُ
وَمُطَـــارُدونَ تَعَجلّـــوا أَيَّـــامَهُمْ وَمُشَـــرَّدُونَ مِـــنَ المذَلّـــةِ هَـــاموا

الشاعر، هنا، يجسد حالة اغتراب فعلية، تنبع من عدم التكيف مع الواقع، إذ تصبح المسافة بين الواقع وحاجته بعيدة، وبخاصة بعد أحداث الوثبة عام ١٩٤٨م، فهو يريد أن تمضي الانتفاضة

(١٦٢) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١. ص٥٥٩ -٣٦٠-٣٦١-٣٦٢.
(١٦٣) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١. ص٧١-٧٩-٦٨-٥٩.

إلى أقصى حدودها، فيكون الانفجار الشامل، وبهذا ينطبق الحلم على الحقيقة التي ينشدها، وحينئذٍ يزول الاغتراب. وكان الجواهري يرى في الشهادة ضالته المنشودة، لذلك كان يجل الشهداء، لأنهم:

حَمَلُوا الرَّصاصَ على الصُّدُورِ وأَوْغَلُوا فَعَلَى الصُّدورِ مِنَ الدِّمَاءِ وِسَامُ
نَكَـــروا النفـــوسَ وفجَّـــروا أعراقَهـــا صَـمْتَاً فَـلا صَـخَبٌ ولا إرْزَامُ

بالفشل فيما يقدم عليه، حتى أصيب بالذعر، ولاسيما حين لا تثور الجماهير على جلاّديها، فينقلب عليه.مساخطاً، إنها قسوة الرحمة كما في قصيدة (أطبق دجى) وساخراً في قصيدة "تنويمة الجياع".

ولعل من أبرز مواقفه الجريئة، حين ألقى قصيدة التحدي، حيث كان الجو السياسي محتدماً في عهد نوري السعيد، وكان الجواهري موطناً نفسه على الموت على حد تعبيره. إذ قال في مطولته "هاشم الوتري" عام ١٩٤٩: (١٦٤)

أَنَـا حَـتْفُهُمْ أَلِـجُ البُيـوتَ عَلِـيهُمُ أُغْـرِي الوليـدَ بِشَـتْمِهِمْ والحَاجِبَـا
أنَـا ذا أمَامَـكَ مَـاثِلاً مُتجبِّـراً أَطَـأُ الطّغَـاةَ بشسـعِ نَعْلِـيَ عازبَـا
أنبيـكَ عَـنْ شَـرِّ الطّغَـاةِ مَفَـاجراً ومَفَـــاخِراً ومســـاعياً ومَكاسِـــبَا
وَالحَاقـدينَ عَلَـى الـبِلادِ لأنَهـا حَقَـرتهمُ حَقْـرَ السـليبِ السَّـالِبَا
شُـلّتْ يَـدُ المستعمرينَ وَفَرضُـهَا هَـذي العلـوقَ عَلَـى الـدِّمَاءِ ضَـرائِبَا
وَغَرسْتُ رِجْلي في سَعيرِ عذابِهِمْ وثَبَـتُّ حَيْـثُ أرى الـدَّعِيَّ الكاذِبَـا
كَـذَبُوا فَمِلءُ فَمِ الزَّمَانِ قَصَائِدي أَبَـداً تَجُـوب مشَـارِقا ومَغارِبَـا
تَسْـتَلُّ مِـنْ أظْفَـارِهِمْ وتَحَـطّ مِـنْ أقـدارِهِمْ وَتَثْـلُّ مَجـداً كاذبـاً

وإذا استشاط غضباً، فليس لديه ما يخاف عليه كقوله في "المقصورة" عام ١٩٤٦: (١٦٥)

بِمَـاذا يُخَـوِّفُنِي الأَرْذَلُـونَ وَمِـمَّ تَخَـافُ صِـلاَل الفَـلا
أَيُسْـلَبُ عَنْهَـا نَعِـيمُ الهَجِيـرِ ولَفْـحُ الرِّمَـال وَبـذْخُ العَـرا!!
إذا شِئْتُ أَنْضَـجْتُ نَضْـجَ الشَّـواءِ جُلُـوداً تَعَصَّـتْ فَمَـا تُشْـتَوى

(١٦٤) الجواهري، المصدرنفسه. ص٢٧٠.
(١٦٥) الجواهري، محمد مهدي، ج٤. ص٤٠٧-٤١٥-٤١٦.

وأَبَقَيْتُ مِنْ مَيْسَمِي في الجِبَا ... هِ وشْمَاً كَوَشْمِ بنَاتِ الهَوى

أَلَمْ تَر أَنِّيَ حَرْبُ الطّغَاةِ ... سَلاَمٌ لِكُلِّ ضَعيفِ الذِّمَا

الجواهري يرفض النظام حينذاك:

وإن الأحداث التي عصفت بالعراق، وتغلغلت في وجدان الجواهري ووعيه، هي التي ولدت عنده الرفض، وهي قيمة ثابتة، ولكنها ليست قيمة دلالية فحسب، بل هي تشكيلة جمالية، تكمن وراءها قيمة فاعلة، تتمثل في الفعل الإرادي الرافض للواقع.وإن لهذا الرفض أشكالاً وتداعياتٍ أبرزها الغضب، فقد يستحيل إلى غضب ماحق على السلطة ورموزها كقوله: (١٦٦)

تَبَّاً لدولةِ عَاجزينَ تَوهَّمُوا ... أنَّ الحكُومةَ بالسِّياطِ تُدامُ

وإذا تَفَجَّرَتِ الصُّدورُ بغيظِهَا ... حَنَقَاً كَمَا تتفجَّرُ الألْغَامُ

فإذا بِهِمْ عَصْفَاً أكيلاً يَرتمي ... وإذا بِمَا رَكنوا إليه رُكَامُ

وأحياناً يصير سعيراً يشويهم، لأن الحكام دائماً – عنده طغاة، فإذا به يقذفهم بحمم قصائده كما في قصيدة: (أطياف وأشباح) عام ١٩٦٧: (١٦٧)

صَبَبْتُ على العُتَاةِ شُواظَ نارٍ ... تَعودُ بها الصُّفَاةُ إلى احتراقِ

ونَفّصْتُ السَّوادَ على وُجُوهٍ ... مُصبَّغة اللحَى بِدَمٍ مُرَاقٍ

عِبدَّى لا يُريدونَ انعتاقاً ... وأطماحُ العبيدِ إلى انْعِتَاقِ

زَنَامى يَعْطِفُونَ على زَنيمٍ ... كَمَا عُطفَ الجَنَاسُ على الطّبَاقِ

لَعنْتُ (شيوخَ لندنَ) مِنْ غُواةٍ ... صَنَاعٍ في مُحَايلَةٍ حِذَاقِ

وهنا ينقلب إلى سخرية لاذعة، فهم يعشقون هتاف الجماهير، وينعمون بالنعيم، ثم يرسم صورة الزعيم الحقيقي، كما: (١٦٨)

---

(١٦٦) الجواهري: الحنق، الغضب الشديد، والحقد البغيض، ج ٤. ص٥٩، ٦٠.

(١٦٧) الجواهري، المصدر نفسه: ج١. ص٣٧١-٢٦٩.

(١٦٨) الجواهري، المصدر نفسه، ج٤. ص٤٢٦-٤٢٥.

وهُمْ يَعْشَقُونَ هُتَافَ الجُمُوعِ وَيَخْشَوْنَ مَا بَعْدَهُ مِنْ عَنَا

وَيَجْمَعُ بينَ ظِلالِ القُصُورِ وَعَصْرِ الخُمُورِ وَرَشْفِ اللّمَى

وأنّ الزّعامَةَ لا تُصْطَفى بِغَيْرِ السُّجونِ ولا تَشْتَرى

وَلَمْ أدْرِ كَيْفَ يَكُونُ الزَّعيمُ إذا لَمْ يَكُنْ لاصِقاً بالثّرَى

كما يسخر من الجماهير، لأنها لم تثر على جلاديها، ولكنها سخرية مشفوعة بالشفقة؛ لأنها جماعته التي انحاز إليها، ورصيده الذي يعتز به في مجابهة العتاة ومقارعتهم، كما في قصيدة "تنويمة الجياع" عام ١٩٥١: (١٦٩)

نَامِي جِيَاعَ الشَّعبِ نَامِي حَرَسَتْكَ آلِهَةُ الطَّعَامِ

نَامِي عَلَى زُبْدِ الوُعُو دِ يُدافُ في عَسَلِ الكَلامِ

نَامِي عَلَى نَغَمِ البعو ضِ كأنَّهُ سَجْعُ الحَمَامِ

نَامِي عَلَى مَهْدِ الأذَى وَتَوسَّدِي خَدَّ الرَّغَامِ

نَامِي عَلَى تِلْكَ العِظَا تِ الغُرِّ مِنْ ذاكَ الإمَامِ

لا تَقْطَعِي رِزْقَ المُتَا جِرِ، والمُهَنْدسِ، والمُحَامِي!

نَامِي تُرِيحِي الحَاكِمِي نَ مِنْ اشتبَاكٍ والْتِحَامِ

نَامي فجدرانُ السُّجُو نِ تَعِجُّ بالمَوتِ الزُّؤَامِ

نامِي يُرَحْ بَمَنَامِكِ "الزُّ عَمَاءُ! مِن داءٍ عُقَامِ

نَامِي شَذَاة الطَّهْرِ نَامي يَا دُرَّةً بَيْنَ الرُّكَامِ

يَانَبْتَةَ البَلْوَى ويَا وَرْداً تَرَعْرَعَ في اهْتَضَامِ

يَا شُعْلَةَ النُّورِ الّتي تُعْشِي العُيُونَ بِلاَ اضْطِرَامِ

هذا المشهد الدرامي، ينتهي بخاتمة حزينة، وكأنه يختزل معاناة الشعب العراقي، وهو يكابد آلام الفقر والعري والجوع والقهر، والإذلال، إنه حوار درامي بين القرار والجواب، أو بين البداية والنهاية. ينبع من القلق والسخرية المرة، والفجيعة، تتشعب شعاب الحياة، في وحدة متصاعدة، وكأنها متنفس عن أزمته الداخلية وعن مأساة شعبه، في حالات الاغتراب والانفصام

(١٦٩) الجواهري، المصدر نفسه، ج٢ ص١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القصيدة من نتائج أحداث الوثبة، لأن الجواهري كان يعاني أزمة فعلية، فحمل على السلطة والشعب باللوم والسخط، لأنه كان يتعجل النهاية لحكم ظلامي رهيب.

وفي هذا السياق يقول جبرا: (قصائد الجواهري تستهدف التأثير في الجماهير آنياً بعنف، مستخدماً صوراً وإشاراتٍ لها جذور بعيدة الغور في وعي الأمة وفي لا وعيها، مما يحرك فيها عواطف النقمة والإحساس، بال خيبة والاضطهاد، بأنها ضحية يجب أن تثور على مضحيها)[١٧٠].

وأحياناً يستحيل الغضب إلى طبول نذير بالدمار والخراب، فيه الضواري والكواسر والديدان، آكلين مأكولين، وكأن العالم استحال إلى يباب، فالسحاب والضباب والنار، والدجى والغاب وكذلك الخناجر والحراب والزاحفات، إنها مشاهد مرعبة ومظلمة تتكامل في إطار درامي، ينم عن شدة الأزمة والفجيعة واليأس، لا تستشف إلا عند أولئك الشعراء الوجوديين الذين لا ينبع غضبهم إلا عن أغوار القلق والشك، والشفقة على الإنسانية ومصيرها.

قسوة الرحمة على أمة دفعها الدُّعاة إلى زهرة الشمس، ولكن محقتهم، وأبت إلا الموت في الحياة، ومن فرط حب الشاعر للجماهير، وهي عدة الثورة على الحكام المتسلطين يخاصمها خصام المحبين، فيغضب عليها ؛ لأنها ترضى بالذل والهوان، فيصرخ فيهم: أيها العبيد استيقظوا، فقد طلع الفجر وملأ الكون الضياء، وحان المسير. كما في قصيدة (أطبق دجى) ١٩٥٢: [١٧١].

أَطْبِـقْ دُجـىً أَطْبِـقْ ضَـبَابُ ... أَطْبِـقْ جَهَامَـاً يَـا سَـحَابُ
أطْبِـقْ دُخَـانٌ مِـنَ الضَّميـ ... ـرِ مُحرِّقَـاً أطْبِـقْ عَـذَابُ
أطْبِـقْ دَمَـاراً عَلَـى حُمَـ ... ـاةِ دَمَـارِهِمْ، أَطْبِـقْ تَبَـابُ
أطْبِـقْ عَلَـى مُتبلِّـ ... ـدِينَ شَـكَا خُمُـولَهُمُ الـذِّبَابُ
أطْبِـقْ عَلَـى هَـذِي الكُـروشِ ... يَمُطّهَـا شَـحْمٌ مُـذَابُ
أطْبِـقْ إلـى أنْ يَنْتَهِـي ... للخَـابِطينَ بِـكَ احتطـابُ
أطْبِـقْ دجـىً، لا ينـبلجْ ... صُـبْحٌ ولا يخفـقْ شِـهَابُ

(١٧٠) جبرا، جبرا إبراهيم، النار والجواهر، دراسات في الشعر، فلسطين، ط٢، ١٩٨٢م. ص٣٥.
(١٧١) الجواهري، محمد مهدي، ديوانه، ج١. ص٢٨٩، ٢٩٤.

أطْبِــقْ دُجــىً حَتَّــى يقــيءَ خمــولَ أهــلِ الغــابِ غَــابُ
مِــنْ لَوْنِــكَ الــدَّاجي رِيَــا ءٌ وَارِتيَــــــاعٌ وارتيــــــابُ
أطْبِــقْ فَأنــتَ لِهَــذِهِ السُّــــ ــــواتِ عَاريَــــةً حِجَــــابُ
كُــنْ سِــتْرَها لا يَنْــبلِجْ صُــبْحٌ ولا يَخُفُــــــــقْ شِــــــــهُابُ

كذلك يتحول الغضب عند الشاعر استعلاءً على الحكام المتجبرين: (١٧٢)

لِسْتُ الّذِي يُعْطي الزَّمانَ قيادَهُ وَيَــرُوحُ عَــنْ نَهْــجٍ تَــنَهَّجَ ناكِبــا
وأَمُطّ مِنْ شَفَتيَّ هُزءاً أنْ أرى عُفْــرَ الجِبَــاهِ علــى الحَيــاةِ تكالْبَــا
للهِ دَرُّ أبــي يَرانِــي شَاخصــاً لِلْهَــاجِرَاتِ لِحُــرِّ وَجْهِــيَ نَاصِــبَا

وأحياناً يؤول الغضب الماحق تلذذاً، حين أمسك قادة الثورة عام ١٩٥٨ بخناق رجال الحكم، فتحول بعضهم إلى جثث هامدة، وبعضهم الآخر إلى أسرى داخل السجون، فاستعذب الجواهري تلك اللحظات، وقد عد الإطاحة بالعرش البائد نصراً لإنذاراته المبكرة، فها هو يهلل للحساب في قصيدة (جيش العراق) عام ١٩٥٨: (١٧٣)

واليَــومَ يُنْشَــرُ لِلْحِسَــابِ كِتَــابُكُمْ فِــيَ مَــوْطِنٍ جَمَــعَ الحِسَــابَ ودَوَّنَــا
واليــومَ يكْتَــالونَ مَــا كَــالُوا لَنَــا عَــدْلاً ونَسْــخَرُ مَثْلَمــا سَــخَروا بِنَــا
سَتُحاسَــبُونَ فَــإِنْ عَــدَتْكُمْ سَــكْتَةٌ فَسَــيَنْطِقُ الــرَّقَمُ الخَبيــثُ بِمَــا جَنَــى
وسُتُسْأَلُونَ عَنْ الجُمُوعِ تَسَخَّرتْ عَــنْ فُحْــشِ فَقْــرِهُمُ وَعَــنْ فُحْــشِ الغِنَــى

كما يغريه التشفي، إذ شاهد رموز الحكم من رؤساء، ووزراء، وأعيان، ونواب، أمثال توفيق السويدي، وفاضل السبعاوي داخل السجن، وباشي أعيان وخليل كنه، ووصفي طاهر ونُوري السعيد وغيرهم قد قيّدوا أمامه، فصورهم في مشهد احتفالي ساخر في قصيدة (باسم الشعب) ١٩٥٨: (١٧٤)

(١٧٢) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري. ص٢٨٥.

(١٧٣) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري ج٤. ص٣٣٠.

(١٧٤) المصدر نفسه: ج ٢، الزرد: السلاسل. الشائحون: الماثلون ترفعاً. الصعر: الكبر. أقحاح: خالصة من كل شيء والقُحّ: الصافي، الأصيل، والخالص من كل شائبة. ص٦١-٦٢.

والأذؤبُ الأصحاحُ في جَبَروتِهِمْ وَسَطَ السُّجُونِ أرانِبٌ أقْحَاحُ
عَصَفَتْ بِأَنْفَاسِ الطّغَاةِ رِيَاحُ وَتَنَفّسَتْ بالفَرْحَةِ الأرْواحُ
والسَّادةُ الوَقِحُونَ هَذّبَ طَبْعَهُمْ زَرَدٌ يَعَضُّ على اليدين وِقَاحُ

العمق الأنساني والقومي في شعر الجواهري:

شعر الجواهري وتجاوز المحلية:

لم تكن السياسية في شعر الجواهري محلية، بل لها امتداد قومي وإنساني، ينبع من طبيعتها التاريخية والحضارية وآفاقها البعيدة، فقد ظل التيار الوطني بالعراق في تفاعل مستمر مع الأحداث الداخلية والخارجية منذ ثورة العشرين حتى الانتفاضات الشعبية، وما تلاها من وقائع وملابسات.

والعراق، بموقعه(المتطرف) من الوطن العربي – يشكل العمق الاستراتيجي للأمة العربية، فقد أدرك الاستعمار أهميته وخطورته، حيث وضعه تحت الانتداب البريطاني، وأقام حكومة وطنية تابعة لسياسته، كما أدرك خطورة التيار القومي العربي على مصالحه، (فابتدع عروبة جديدة تتكون من بقايا الإدارة التركية ونفرٌ من أعوان الإنكليز، وذلك لضرب هذا التيار وإفراغه من مضمونه القومي التقدمي)[١٧٥].

وخاصة بعد أن استوعب الإنكليز الظروف المحيطة بالعراق، وعرفوا البنية السكانية للشعب العراقي، كما ربط الاستعمار بين القومية والوطنية وبين العوامل الاجتماعية، فضلاً عن الدور الفاعل للتيار العروبي في ثورة العشرين.

وانطلاقاً من تكوين الجواهري الثقافي ونشأته، فإنه يعد من دعاة العروبة ومن أنصار الوحدة القومية، لساناً، وفكراً، وموقفاً، فها هو يؤكد على المقومات الأساسية في قصيدة (يافا) عام ١٩٤٥، يوم أنشدها الشاعر في حفلة تكريمية في المجمّع الثقافي في يافا بفلسطين: [١٧٦].

والأذؤبُ الأصحاحُ في جَبَروتِهِمْ وَسَطَ السُّجُونِ أرانِبٌ أقْحَاحُ
عَصَفَتْ بِأَنْفَاسِ الطّغَاةِ رِيَاحُ وَتَنَفّسَتْ بالفَرْحَةِ الأرْواحُ

(١٧٥) نظمي، وميض، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية في العراق، ط١، ١٩٨٥م. ص١٧- ٢٤.

(١٧٦) قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ١٩٨٥م. ص١٢٨.

والسَّـادةُ الوَقِحُـونَ هَـذّبَ طَـبْعَهُمْ زَرَدٌ يَعَـضُّ علـى اليـدين وِقَـاحُ

كَانَتْ قِباحَاً في الرُّؤوسِ وَجُوهُهُمْ واليومَ وَهْيَ على الصُّدورِ مِلاحُ

والعروبة في شعر الجواهري ليست نسباً، بل هي انتماءٌ واعٍ إلى أمة عريقة. "إنني فخور بانتمائي إلى العروبة، واعتزازي بالشعوب العربية"[١٧٧]

وهو يعتد بشهداء الوحدة العربية، لأنه من دعاتها المخلصين، كما في قصيدة (خلفّتُ غاشية الخنوع) ١٩٥٧: [١٧٨]

عَـدْنانُ إنَّ دمَـاً وهَبْـتَ رِسَـالةً أنـا مِـنْ صَـميمِ دُعَاتِهَـا الأمَنَـاءِ

ثم يخاطب المالكي الذي ضحّى بدمه في سبيل الوحدة: [١٧٩]

يَـــا أيَّهـــا البَطَـــلُ المُوَحِّـــدُ أمَّـــةً بِدِمَائِـــهِ، قُدَّسْـــتَ مِـــنْ بَنَّـــاءِ

أضَـــحِيَّةَ الحِلْـــفِ الهَجِـــينِ بِشَـــارَةٌ لَـــك فـــي تَكَشَّـــفِ سَـــوْءةِ الهُجَنَـــاءِ

أسطورةُ "الأحلافِ" سَوفَ يمُجُّهَا التَّا ريـــخُ مِثْـــلَ خُرافَـــةِ "الحُلفَـــاءِ"

الحس القومي في شعر الجواهري:

كما أن الحس القومي سوف يتجلى في بواكير قصائده، فهو يهلل لطلائع النهضة العربية في قصيدته الأولى "الثورة العراقية" ١٩٢١:

وَقَدْ خَبَّروني أن للعُرْبِ نَهْضَةً بشائرُ قدْ لاحَتْ لها وطلائِعُ

وقَدْ خَبَّروني أنَّ مِصْرَ بِعزْمِها تُناضِلُ عَنْ حَقٍّ لها وتُدافِعُ

ثم يتباهى بالمدرسة الشامية، بوصفها – مثلاً يحتذى- في الشعار والموقف كقوله: [١٨٠]

إنِّـي شَـآمِيٌّ إذا نُسِـبَ الهَـوَى وإذا نُسِـبْتُ لِمَـوْطِني فِعِراقـي

---

(١٧٧) الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، ج١. ص١٦٣.

(١٧٨) ديوان الشاعر: ج١. ص٢١- ١٢٣- ١٢٥.

(١٧٩) المالكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر، ج١، السوءة: العورة، الحلف: المقصود هنا هو "حلف بغداد" الذي كان، في جملة الأحرار الذي يناصبونه العداء. ص١٢٥.

(١٨٠) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري: ج٢، مطبعة الغري. ص٢١٣. ديوان الجواهري، ج٣، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠م. ص٢٣٤.

ويرفض سياسة التجزئة، لأنها من صنع الاستعمار والانفصاليين:

لا لَنْ تفرقَنَا الحُدودُ ولَمْ تَكُنْ تَدْرِي الحَواجِزُ إِخْوَةَ الجِيرانِ

وقد عايش الجواهري أحداث الوطن العربي، مثلما عايش حوادث العراق، انطلاقاً من المصير المشترك، والثوابت الرئيسة التي ترتكز عليها الأمة، فالأمة – في رأيه- محنة قومية، ويجب أن يكون الأسلوب والحل موحداً في الأصل والمواجهة. فها هو يقف مع إخوانه العرب في سورية، وهم يخوضون معركة الكرامة والسيادة ضد المستعمر الفرنسي حين اندلعت الثورة الكبرى في أنحاء سورية عام ١٩٢٥؛ فتمتزج المشاعر، وتزول الحواجز أمام الشعور القومي الفياض، وفي مشهد التوحد بالهمَّ العربي المشترك: (١٨١).

مثـــلُ الـــذي بِـــكِ يـــا دِمَشْـــ ـــقُ مِـــنَ الأسَـــى والحُـــزْنِ مَـــا بِـــي
ثُـــــوري دِمَشْـــــقُ فإنَّمـــــا "نَيْـــــلُ الأمـــــاني بـــــالطِّلابِ"
إنْ تَغْضَـــــبِي لتليـــــدِ مَجْـــــ ـــــدٍ آذَنُـــــوهُ باسْـــــتِلابِ
فتماسَـــــكِي أو تُكرَهِـــــي صَـــبْراً علـــى حَـــزِّ الرِّقَـــاب
لا تُكْـــرَ فـــي الـــدُّنيا وَلا مَـــعْـــرُوفَ إلاّ فـــي الـــغِـــلابِ

الشاعر – هنا- ينبعث شعوره القومي من فوهة الغضب والعنف، فهو يؤمن بالقوة أسلوباً في المواجهة، لأنّ الجزاء من جنس العمل.

وهذا منطق التاريخ. والمستعمر أصل الأزمات التي مُنيت بالهزائم والمحن، بعد عز ومنعةٍ، ويستنكر عليها لغة التظلم والشكوى، لأن الحل يخرج من فوهة السلاح، كما في قصيدة "فلسطين الدامية" ١٩٢٩: (١٨٢)

لَـوْ اسْـتَطَعْتُ نَشَـرْتُ الحُـزْنَ والألَمـا عَلَـى فِلَسْـطينَ مُسْـوَدّاً لَهـا عَلَمـا
سَلِي الحـوادثَ والتـأريخَ هـل عَرفـا حَقّـاً وَرَأيـاً بغيْـرِ القُـوّةِ احْتُرِمـا
وبِالمَظـالِمِ رُدِّي عَنْـكِ مَظْلَمَـةً أولا فـأحقرُ مَـا فـي الكـوْنِ مَـنْ ظُلِمَـا
لا تَطْلُبِـي مِـنْ يَـدِ الجَبَّـارِ مَرْحَمَـةً ضَـعِي عَلَـى هَامـةٍ جَبَّـارةٍ قَـدَمَا

ثم يربط المقدمات بالنتائج، فإذا التفكك ضعف، والنظام الهزيل مناخ خصيب للنهب

(١٨١) الجواهري، محمد مهدي، ج٣. ص٢٥٥.

(١٨٢) ديوان الشاعر: ج٣. ص٢٧١. ديوان الجواهري، ج٤. ص١٥٧- ١٦٠.

والسلب، منبئاً عن مستقبل مشؤوم، ينذر بالهزيمة والإنكسار في القصيدة نفسها: [١٨٣]

باسْمِ النّظامَاتِ لاقَتْ حتفَها أمٌ ... للفَوْضَـــويَّة تَشْـــكُو تِلْكُـــمُ النَّظُمَـــا

سَـيُلْحِقونَ "فلسـطيناً" بأَنْـدلُسٍ ... ويَعطفُـونَ عَلَيْهـا البَيْـتَ والحَرَمَـا

وَيَسْـلُبونَكَ "بغـداداً" و "حِلّقَـةً" ... ويَتْركونَـــكَ لا لَحْمـــاً وَلا وضَـــمَا

يَـا أمَّـةً غَرّهـا الإقبـال نَاسِـيَةً ... أَنَّ الزّمَـانَ طَـوَى مِـنْ قَبْلِهـا أَمَمـا

إنها رؤيةٌ جادة، واستشراقٌ للمستقبل القاتم، الذي ينتظر العرب، وكأن الشاعر يقبض على التاريخ، ببصيرته النافذة هذه، استند إلى معطيات تاريخية في حياة العرب السياسية، أيام الحكم في الأندلس، حين ركنوا إلى الدعة والاستسلام، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً، غزتهم الأمم القوية وانتزعت منهم بلاداً أقيمت عليها حضارة شامخة.

الجواهري والأنظمة العربية:

وكان الجواهري يتناغم مع الثورة ضد الأنظمة العربية وحكوماتها القاسية، فهو يلقي المسؤولية التاريخية على الحكام العرب، ويحملها أوزار النكسة، كما يُعرّي سياسة القمع والتجويع التي يمارسها الحكام على شعوبهم، في حين أن الوطن العربي يمتلك طاقات مادية هائلة، ثم ينعي على التخاذل والتراجع أمام اليهود الغاصبين: مستنكراً حالة التشرذم التي آلت إليها الأمة العربية:[١٨٤]. وقلَّما تخلو قصائد الجواهري السياسية من الهموم القومية، لأنه يعي رسالته ويدرك انتماءه الحقيقي لأمته، فيتماهى بوجدانها، ويقاسمها آمالها وآلامها، كقوله في "ذكرى عبد الناصر" ١٩٧١: [١٨٥].

أفأمـــةٌ هـــذي التـــي هُزَمَـــتْ ... وتنـــــاثرتْ وكأنَّهـــــا أمَـــــمُ

يسـطو علـى صَـنَم بهـا صَـنَمٌ ... وَيغـــارُ مـــن عَلَـــمٍ بهـــا عَلَـــمُ

ويُسَـــاومون علـــى شـــعوبهم ... أعـدى الخُصـومِ كـأنهم حَكَـمُ!

أمشـــردونَ وأرضـــهم ذهَـــبٌ؟ ... ومجوَّعـــونَ ونبتُهـــا عَلَـــمُ!

أفـــألفُ مِليـــونٍ وقِبلَـــتهُمُ ... بيـــدِ اليَهـــودِ الصُّـــفْرِ تُقْتَسَـــمُ

---

(١٨٣) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج١. ص٤٦٣- ٤٦٤- ٤٦٥.

(١٨٤) الجواهري: ج٤. ص١٥٧- ١٦٠. المصدر نفسه، ج٤. ص١٥٩- ١٦٠.

(١٨٥) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، ج٥، دمشق، ١٩٨٥م. ص٢٥١.

ماذا على الراعي إذا اغتُصِبَتْ عَنْـــزٌ ولـــم تتمـــرَّدِ الغَـــنَمُ

ثم يلتفت إلى القدس التي دنّسها الصهاينة، فيقرّع العرب والمسلمين، محرضاً إياهم على تحرير القدس من اليهود: (١٨٦).

خَمْـسُ مئـينَ مِلّـةً وعُروبـةً تُعطـي الصِّـغارَ ثَلاثَـةً لُقَطَـاءَ

نقد الجواهري للسياسة العربية:

ولا يكفّ الجواهري عن نقده اللاذع للسياسة العربية، وهي تمعن في قهر الشعوب العربية، حتى قادتها إلى مهاوي الخنوع والاستسلام، كما أوقعتها في المحن والنكسات، نحو قوله في (ذكرى عبد الناصر) عام ١٩٧١: (١٨٧)

وَتُطـارِدُ الفكـرَ الشـريفَ كأنَّهـا مِنْـهُ تُطَـارِدُ "هَيْضَـةً" وَوَبَـاءَ

وَتُفلْسِفُ الجُورَ العَسُوفَ وتَجِلدُ الـ ـدّينَ الحنيـفَ لِيَسـتحيلَ عَطَـاءَ

مَـنْ فَـوْقِ أعنـاقِ المشَـانِقِ دُلِّيَـتْ خَيـرُ الـرؤوس شـهامةً ووفـاءَ

وتكـادُ أقبيـةُ السـجونِ غَضَاضَـةً وأسـىً تَصـيحُ لِتَـرْحَمَ السُّـجنَاءَ

فِـيمَ التَّـعَجُّبُ؟ لا نحمِّـل وزرَنَـا قدراً، ولا ما نـحن فيـهِ قَضَـاءَ

فِـيمَ التَّعَجُّـبُ؟ لا نحمِّـل وزرَنَـا قدراً، ولا ما نـحن فيـهِ قَضَاءَ

كما يرفض أسلوب الاستجداء والشكوى، لأنه دليل الضعف والهزيمة، ويتبنى سياسة القوة، لأنها السبيل الأوحد لانتزاع الحق والسيادة وشواهد التاريخ ماثلة في "صلاح الدين" حين حرر بيت المقدس: (١٨٨)

سَـاءَلْتُ نَفْسِـي لا أُريـدُ جَوابَهـا أنَـا أمقـتُ الضَـرَّاعَ والبَكَّـاءَ

أترى "صـلاحَ الدِّينِ" كَـان محمّقاً إذْ يَسْتشـيطُ حَمَيَّـةً وإبَـاءَ

أم عَـادتِ "القُـدْسُ" الهَـوانَ بعينِـهِ؟ أمْ عـادَ ديـنُ المسـلمينَ ريَـاءَ؟

(١٨٦) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج٥. ص٢٥١.

(١٨٧) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر، ج١. ص١٧٠.

(١٨٨) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج١. ص١٧١.

الشاعر – هنا – يستنطق التاريخ وهو يرجع إليه في منعطفات خطرة، يوظفها لشحن الحاضر، منطلقاً من التوتر الحاد بين الماضي في لحظاته المضيئة، وبين الواقع المهزوم، هذه الثنائية الصراعية تمتحُ من بنيته الدرامية، إنها ديناميكية محتدمة، تدعو إلى التجاوز الدائم، بمفرداتها وعلاقاتها الداخلية ودلالاتها المباشرة.

ولعل هذه النزعة الدرامية في شعر الجواهري هي المصدر الأكبر لجمالية بنيته الشعرية بما تسبغه من حرارة ونضارة وتدفق ومعاصرة رغم إطارها التقليدي، بل لعل الشاعر نفسه يكاد يرى أن ما يحدثه شعره من تفجير جمالي، أو تطهير نفسي –على حد التعبير الأرسطي، إنما مصدره ما في شعره من حدّة وصدام وشعور بالغضب والنقمة، بل والكآبة أحياناً أليس هو القائل في قصيدة (الخطوب الخلاقة) ١٩٦٧: [١٨٩]

يَـا أيُّهـا الطّـاعُونَ حُـلَّ بِنَـا وَبِمِثْـــلِ وَجْهِـــكَ تُكْشَـــفُ القِـــيَمُ

وفي هذا السياق يشير بعضهم إلى "أن ظاهرة التمرد في الشعر العربي المعاصر طغى عليها الطابع الإيجابي، وأحياناً يغلب – على تحدّيه للوضع السياسي والقومي- العنصر المأساوي المأزوم، بينما صبغ التمرد بطابع العدمية في الأدب الغربي)[١٩٠].

كما يؤكد بعضهم الآخر: (أن ظواهر التمرد في شعرنا المعاصر فعلٌ فني مشروع، مهَدّت له إرهاصات كثيرة أعطت لحركة الشعر مسوّغ قيامتها)[١٩١].

قضية فلسطين في شعر الجواهري:

وفي قصيدته "الدالية" "فلسطين" ١٩٤٨، أدرك الجواهري أزمة الواقع العربي، وما أفرزته من مآسي، لعل أخطرها "اغتصاب فلسطين" فقد ربط – جدلياً- بين الداخل والخارج، وخلص إلى هذه القاعدة: [١٩٢]

---

(١٨٩) الملكي، المصدر نفسه: ج١. ص١٧١-١٧٢.

(١٩٠) الحديدي، العالية، ظاهرة التمرد في الشعر العربي المعاصر، جامعة دمشق، ١٩٨٥م-١٩٨٦م. ص٥٣٩، رسالة ماجستير، إشراف: فهد عكام.

(١٩١) عوابدة، رياض، ظواهرالتمرد في الشعر العربي الحديث، دار معد للطباعة، دمشق، ط١، ١٩٩٥م. ص١٥.

(١٩٢) ديوان الجواهري: ج٢. ص٢٧٩.

ومـا كانَـتْ فِلَسْـطِينُ لتَبقَـى وجيرتُهـا يُصـاحُ بِهـا بَـدَادِ
وسِتَّ جهاتُها أَخذتْ بجوعٍ وَجَهْـلٍ، واحتقـارٍ، واضـطِهادِ
شُـعُوبٌ تُسْـتَرقُّ فَمَـا يُبْقّـي علـى أثـرٍ لهـا ذُلُّ الصِّـفَادِ
تُسَاط بهـا المواهِبُ والمَزايـا وتُحْتَجَـزُ العقائِـدُ والمَبَـادِي
وتَطْلَـعُ بـين آونَـةٍ وأخْـرَى "بحجَّـاجِ" يُزيِّـفُ أو "زِيَـادِ"

والقصيدة منظومة سياسية مليئة بالاحتجاج والنقد، طرح من خلالها قضايا راهنة "كالديمقراطية" و "العقلانية" وجدية العمل، كبدائل ممكنة. فهو غير مقتنع بالحل العربي، مسترشداً بتجارب الشعوب المكافحة، واستثمار الماضي والحاضر في جدلية دائمة، بعيداً عن المقامرة والحلم كقوله: (١٩٣)

كانـت حُلـولٌ وهـا أَنْـتُمْ فَرائِسُـها وكـانَ حُلّـمٌ وهـا أنـتم ضَـرائِبُهُ
أو بِـالحِوارِ يَـرُدُّ الغـنمَ غانمُـهُ؟ أو يُرجَـعُ البلـدَ المغصـوبَ غاصـبُهُ

ثم يدين بالدم والشهادة: (١٩٤)

أقسْمتُ بالدَّمِ عِملاقَاً فلا زِيَـغٌ فـي مِشْـيَتَيْهِ ولاَ عُـوْجٌ مَناكِبُـهُ
أقسْمتُ بالدَّمِ عِملاقَاً فلا زِيَـغٌ فـي مِشْـيَتَيْهِ ولاَ عُـوْجٌ مَناكِبُـهُ

ويؤكد ثانية على مبدأ العنف في استرجاع الأرض المحتلة، مستفيداً من دروس الماضي وعبره: (١٩٥).

ناشدتُ جندك جُنْدَ الحقِّ والحَرَسَا أن لا تعـودَ فلسـطينٌ كأندلسَـا
ناشـدتُكَ اللهَ أن تسـقي الـدماءُ غـداً غَرْسَـاً لِجِـدكَ فـي أرجائِهـا غُرِسَـا
ناشـدتُكَ اللهَ والظلمـاءُ مَطْبِقَـةٌ علـى فِلَسْـطينَ أنْ تُهْـدِي لهـا قَبَسَـا
تلّمسِ الجَـدَثّ الراسـي تجـد لَهَبـاً مِـنَ الشّـكاءِ وتَسْـمَعْ للصّـدى نَفَسَـا

كما يعتبر الجواهري فلسطين محور القضية العربية، ومنطلق النضال، وهو يزاوج بين

(١٩٣) ديوان الجواهري: ج٥. ص١٤٨.
(١٩٤) المصدر نفسه: ج٥. ص٢٨٢.
(١٩٥) الجواهري، ديوان الجواهري، المصدر نفسه: ج٥. ص٢٨٢.

الماضي والحاضر في محطاته المضيئة والمظلمة في قصيدة "فلسطين الدامية" ١٩٢٩: [١٩٦]

فيا فلسطينُ إنْ نعَدمْكِ زَاهِرَةً فَلَسْـتِ أوَّلَ حَـقٍّ غِيلَـةً هُضـمَا

يَـأبى دَمُ عَرَبـيٌّ فـي عـروقِهُمُ أن يُصْـبِحَ العَرَبـيُّ الحُـرُّ مُهْتَضَـمَا

ويظل الشاعر على تماس مع الأحداث الدامية في الوطن العربي، يرصدها من موقع الالتزام، وحين احتدام القتال بين الشعب المصري وقوات الاحتلال في السويس والإسماعيلية، كان الشاعر مهاجراً إلى مصر فنظم قصيدة "الدم الغالي" عام ١٩٥١، يشد أزر الكفاح، ويقدس الدماء التي سالت من أجل الحرية والسيادة، قائلاً: [١٩٧].

خـلِّ الـدَّمِ الغَـالِي يَسـيلُ إنَّ المُسـيلَ هُـوَ القَتيـلُ

هَـذا الـدَّمُ المطلـولُ يُخْتَـ ـصَرُ الطّريـقُ بِـهِ الطّويـلُ

خَـلِّ الـدَّمِ الغـالي يَسـيلُ ضَـوْءاً يُنـارُ بِـهِ السَّـبيلُ

هَـذَا أوانُ الجَوْلَـةِ الـ كُبْـرى تَبَـارَكَ مَـنْ يَجُـولُ

دَفْـعُ الـدِّماءِ عَـنْ المَـوا طِـنِ حُـرَّةٌ ثَمَـنٌ قَليـلُ

هَـذَا الـدُّمُ الرَّقْـرَاقُ رَكَّـا ضٌ لِغَايَتِـهِ عَجُـولُ

يَصِـلُ المُنَاضِـلَ بِالمُنَـا ضِـلِ حِـينَ يُعْيِيـهِ الوُصُـولُ

هَـذَا الـدَّمُ المَطْلُـولُ حَـ ـلٌّ حِـينَ تَعْتَـاصُ الحُلُـولُ

سَـلْ هَيْكَـلَ التَّـاريخِ تَنْـ ـبِئْكَ الشَّهُـود بِـهِ الـعدولُ

الدم في شعر الجواهري:

الدم في شعر الجواهري ظاهرة بارزة، قلما تخلو قصائده من ذكره، وكثيراً ما أعطى الدماء دلالاتٍ توحي بالصراع، والقوة والحرية والطهر، كذلك النصر والتسامي والحب، وكأنها استحالت إلى دليل عمل في مشروع التمرد والتجاوز لأزمة الشاعر، فلا بدع أن يسقط عليها هذه المعاني، لأنها تعني البقاء والتجدد، وقد استوحى منها الحلول الناجعة في مقاومة أشكال الظلم

(١٩٦) الجواهري، ديوان الجواهري، ج٤، ١٦١-١٦٢.

(١٩٧) الجواهرى ديوان المصدرنفسه، ج٤. ص٥٥٣- ٥٥٤- ٥٥٦- ٥٥٧.

والاستبداد، حتى أضحت عشقه الأكبر، وسلاحه الأوحد في خوض المعارك على كل الجبهات أفقاً وعمقاً.

ويوم تعرضت مصر للعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، هب الشعب المصري، مدافعاً عن أرضه ببسالة وصمود، وتحولت "بور سعيد" إلى ساحات قتال دامية، أذهلت العدو، وأثارت ضمير العالم. بيد أن الجواهري كان في سورية وشعبه محاصر، حيث حجب النظام الحاكم هذا الحدث عن المواطنين، بسبب الأوضاع المتأزمة، فنظم الجواهري قصيدة "بور سعيد" وهو في دمشق" (١٩٨)

يــا دارةَ المَجْـدِ مَشَـتْ رَواعِـدُ ... لِلْغَــدْرِ فِيهَــا.. وَارْتَمَــتْ زَلازِلُ
خوضِي "دَمَاً أَسْوانُ" مِنْـه مُتْرَعٌ ... عَبْـرَ القُـرونِ "والصَّـعيدُ" حَافِـلُ
تِسْــعُونَ ملْيُونَــاً عَلَيْــكِ فَائِــتٌ ... يَعْطِفُهــــا وحَاضِــــرٌ وقَابِــــلُ
كم غاصَ في رِمَالِكِ السُّمْرِ غَوٍ ... غَــارٍ.. وكـم دِيسَـتْ بِهـا جَحَافِـلُ
تَجَمَّــعَ البَغْــيُ عَلــى مِنْقــارِهِ ... دَمُ الشَّعــــــوبِ لِـمْ يُزِحْــهُ غَــلُ
واصْـطَرَعَ الْبَاطِـلُ وَهْـوَ فَـارِسٌ ... مُــدَجَّجٌ.. والحــقُّ وَهْــوَ رَاجِــلُ
صــــبراً علــــى "" مُكْرِبَــــةٍ ... تَـخْـجَـلمِنْ مَريـرِهَـا الحَناظِــــلُ

وتتوالى الثورات والانتفاضات في الوطن العربي، فها هو الشعب الجزائري يخوض معارك التحرير ضد الغزو الفرنسي، فتسارع الشعوب العربية لمساندته وشد أزره، وتهتز مشاعر الأدباء العرب لتأييده، مشيدة بالبطولات والتضحيات الجسام التي قدمها قرباناً للوطن، ومن بين هؤلاء الجواهري، حيث يرى في كفاحهم المرير امتداداً لبطولات "عقبة" فاتح المغرب العربي، كما يعتقد أن ساحات القتال في "دمشق" و "وهران" واحدة، لأن الاستعمار واحد. كقوله في قصيدة "الجزائر" التي نظمت بدمشق عام ١٩٥٦ بمناسبة أسبوع الجزائر الذي أقيم في سورية: (١٩٩)

جَزائِـرُ كِيلِـي بِصَـاعِيْ حَقُـودٍ ... عَــــمٍ فـــي ضَـــراوتِهِ مُقْـــذِعِ
خُذِي الوَحْشَ مِنْ ظِفْرِهِ وانْزَعِي ... وَمِـــنْ نَابِـــهِ حَـــرِداً واقْلَعِـــي

(١٩٨) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج٤. ص٥٦٧- ٥٦٨- ٥٧٢.

(١٩٩) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج٣. ص٢٢٣-٢٢٥.

وشُــقِّي مَرَارَتَــهُ وامْضَــغي وسُــــوْرَ قَرارتِــــهِ فَــــاجْزَعِي
دَعيــهِ يَـذُقْ مــا أَذاقَ الشَّــعُوبَ مِــــنَ الهَــوْلِ والفَــزَعِ الأفْظَــعِ
وجُرِّيــهِ فَــوْقَ رَغَــامٍ أجَــرَّ عليْـــــهِ مواكِبَهـــــا يَرْكَـــــع
فَلَمِّـــي صُـــفُوفَكِ واسْـــتَجْمِعِي تَـــؤدِّي الحيـــاةَ وتَسْـــتَنْزِعي
جزائــرُ يَــا كَوْكَــبَ المَشْــرِقيْنِ دَجَــا الشَّــرْقُ مِــنْ كُرْبَــةٍ فَــاطّلِعِي
وَيَــا عَقِــبَ العَــرَبِ المُغْــرَبيْنِ أعيــدي ((صَــدَى عُقْبَــةٍ)) تُسْــمَعِي
وتُطْعَــنُ فِــي ((جِلَّــقَ)) بِــالفُؤادِ وَتُمْنَــى بِــ((وَهْرَانَ)) فِــي الأذْرُعِ
((جَزائِـرُ)) يَـا جَـدَثَ الغَاصِبيــ ـنِ بُورِكْـتِ فـي المَـوْتِ مِـنْ مَرْبَـعِ

يهاجم فرنسا في سياستها المتناقضة، إذ كيف تدعي الحرية والديمقراطية؟، وقد جعلت من الجزائر ((باستيل)) جديداً. أبعد هذا زيف وخداع؟..[٢٠٠]

((فِرَنْسـا)) ومـا أقْـبَحَ المُـدَّعِي كِــذاباً، وَمَــا أخْبَــثَ المُــدَّعِي
فِــداءٌ لِمقْصَــلَةِ الثّــائِرينَ مَجَــازِرُ للشِّــيبِ والرُّضَّــعِ
لَـك الوَيْـلُ مِـنْ رَائِـمٍ أطْعِمَـتْ دَمَ الرَّاضِــعِينَ وَلَــمْ تَشْــبَعِ
لَــك الوَيْــلُ فــاجِرةٌ علّقَــتْ ((صَليبَ المَسيحِ)) عَــى المَخْـدَعِ
تُهَـدِّمُ ((بَسْـتِيلَ)) فِـي مَوْضِـعٍ وَتَبْنِــي ((بَســاتِيلَ)) فــي مَوْضِــعِ
أمِـنْ مِشْـعَلِ النُّـورِ مَـا تُحْـرِقينَ أبــاةً عَلَــى الضَّــيْمِ لَــمْ تَرْبَــعِ
وَمِـنْ ((مَطْبَخِ الثَّوْرَةِ)) المُدَّعَا ةِ مــا رُحْــتِ تَطْهِــينَ للجُــوَّعِ

مقارعة الجواهري للحكام والمستعمرين:

ومثلما قارع الجواهري حكام العراق قارع المستعمرين، وهم يعتدون على الشعوب العربية، يندد بأساليب الغزاة الوحشية، ويفضح جرائمهم التي ارتكبوها، كما يدين حضارتهم المزيفة، وهو يقدم البراهين والحجج ليدمغهم، وبالمقابل يحرض الشعوب على القتال ضدهم بكل ما عندها، ويكاد هذا الخطاب –من حيث المحتوى- يتكرر، ولكن بفارق الأسماء والأماكن

(٢٠٠) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج٣. ص٢٢٢-٢٢٧.

وبعض التفاصيل الخاصة بكل حدث.

والمهم أن الشاعر بمواقفه الوطنية والقومية، يشكل ملحمة زاخرة بالمنعطفات والتناقضات والمصادمات التي يكاد شعره أن يكون سجلاً إبداعياً حافلاً -يفصِّلها- بإبراز لحظات التاريخ النضالي للشعب العراقي والأمة العربية عامة.

ومن خلال معطيات شعر السياسة، تبرز ظاهرة متفردة، تتمثل بالتداخل ما بين الوطني والقومي والإنساني، فالشاعر وطني مكافح وغيور على أمته، يدافع عن وجودها، ناذراً روحه ودمه في سبيل وحدتها كقوله في قصيدة (يا بن الفراتين) ١٩٦٩: (٢٠١)

دَعُوا إلى الوَحْدِةِ الكُبْرى فَقُلْتُ لَهُمْ ... نُـذْراً لِـذَلِكَ مِنِّـي الـرُّوحُ وَالجَسَـدُ
خَمْسِينَ ظَلْـتُ أناغِيها كَمَـا نَغَمَتْ ... أمُّ الوَليـدِ يُنـاغِي عِنْـدَها الوَلَـدُ
وَلَيْـتَ يَلْـتَمُّ شَـمْلٌ كُلّـهُ كِسَـرٌ ... وَلَيْـتَ يُـنْظَمُ قَصْـدٌ كُلّـهُ قِصَـدُ

ويختزل مآسي العرب وأوزارهم بمرارة وحقد: (٢٠٢)

فَفِي فَلسْطِينَ خَيْلُ الرِّجسِ مُحْكِمَةٌ ... رِباطَهـا وبَيْـتَ المَقْـدسِ الوَتِـدُ
وقَـدْ أطَالَـتْ سِياطُ البَغْـيِ جِلْـدَتَها ... يُشْـوَى بِهَـا جِلْـدُ أحـرارٍ وتُعْتَبَـدِ
وَفِـي الخَلـيجِ أسَـاطِيلٌ مَـداخِنُها ... طَلْعُ الشَّياطِينِ عَلّى رَيْثَ يُحْتَصَدُ
تَقِـيءُ حِقْداً عَلَـى واعِينَ تَحْذَرُهُمْ ... يَحْـدُونَ صَـرْخَةَ إيقَـاظٍ بِمَـنْ رَقَـدُوا
فَلَـيْسَ لِلْعَرَبِـيِّ اليَـوْمَ مِـنْ وَطَـنٍ ... ما ظَلَّ فَادُونَ عَنْ أوْطـانِهِمْ طُرِدوا
عَلَى الحُدُودِ أضَابيرٌ لِمَنْ صَلَحُوا ... مِـنْ ثـائِرِينَ عَلَـى ظُلْمٍ وَمَنْ فَسَدُوا
نُـذادُ عَـنْ وَطَـنٍ عِشْـنا مَصَـايِرَهُ ... كَمَـا تُـذَادُ عَـنْ المَزْروعَـةِ النَّقَـدُ
بِالأمْسِ إذا أجْهَضَتْ سِقْطاً وِلادَتُهُ ... والأمْسُ كـالغَدِ مَرْهُـونٌ بِمَـا يَلِـدُ

والحدودية يتحكم بها أفراد، يرون العالم من خلال مصالحهم الضيقة)(٢٠٣).

وتجدر الإشارة إلى أن سلطة الخطاب الشعري متجذرة في تاريخنا القومي، مذ كان الشاعر اللسان والعين الباصرة لأمته، وعندما يأتي شاعر مثل الجواهري ليبعث هذا الدور، ويطمح أن

(٢٠١) الجواهري، محمدمهدي، ديوان الجواهري: ج٢. ص١٦٠.
(٢٠٢) الملكي، الشهيد عدنان، ديوان الشاعر: ج٢. ص١٦٠-١٦٤.
(٢٠٣) الجواهري، ذكرياتي، ج٢. ص٢٢٧.

يمثل الضمير القومي بكل أوجاعه وتطلعاته، فإنه يحاول أن يجمع في نبرة إنسانية بين توقد الحس التاريخي والرغبة العارمة في تجاوزه.ومثلما هاجم حكام العراق، هاجم زعماء العرب، وانتقد سياسة التطبيع والقبول بالأمر الواقع، كما سخر من الحلول الإلستسلامية، في قصيدة ((اليأس المنشود)) عام ١٩٤٧: [٢٠٤]

يـا نَـادِبينَ فِلَسْـطِيناً وَعِنْـدَهُمُ عِلْـمٌ بـأنَّ القضـاءَ الحَـتْمَ قَـدْ وَقَعـا
كَفَى بِما فَاتَ مِمَّا سُمِّيَتْ (أَلاَّ) مِـنَ الحُلـولِ الّتِـي كِيلَـتْ لَكُـمْ خُـدَعَا
جِيلٌ تَصَـرَّمَ مُـذْ أَبْـدَى نَواجِـذَهُ وَعْـدٌ لِبَلْفُـورَ فـي تَهْوِيـدِهَا قُطِعـا
وعِنْـدَنا سَاسَـةٌ سُـؤْنا لَهُـمْ تَبَعَـا ذُلاّ وسَـاؤُوا لِمـا فِـي الهَـدْيِ مُتَّبَعـا
رَدَّ المُصـيبَةَ بِالمِنْـديلِ مُفْتَخِـراً -مِثْـلَ الصَّـبَايا- بِـأنَّ الجَفْـنَ قَـدْ دَمَعـا

ثم كشف القناع عن أساليب القمع والاضطهاد للشعوب العربية على أيدي حكام مستبدين، ليسوا أهلاً للزعامة.[٢٠٥]

وَنَحْـنُ مَـا نَحْـنُ قِطْعَـانٌ بِمَذْأبَـةٍ تَسـاقَطَتْ فـي يَـدَيْ رُعْيانِهـا قِطَعـا
فِـي كُلِّ يَوْمٍ زَعِيمٌ لَمْ نَجِدْ خَبَراً عَنْهُ وَلَمْ نَدْرِ كَيْفَ اخْتِيرَ واخْتُرِعـا
أعطـاهُمُو رَبَّهُـمْ فيمـا أعَـدَّ لَهُـمْ مِـنَ الـوَلائِمِ صَـفّوا فَوْقَهـا المُتَعـا
كأسَيْنِ: كَأساً لَهُمْ بالشـهدِ مُتْرَعَـةً وَلِلْجَمـاهِيرِ كـأساً سَـمُّها نَـعَـــا

وهكذا ظهر الجواهري من خلال الأزمة وطنياً لا إقليمياً، لا عراقياً، وإنسانياً لا شعبيً، فكان بذلك لسان الأمة المعبر عن قضاياها وتطلعاتها في التحرر والوحدة، حيث مجد بطولات شعوبها، ودافع عن حقوقها، كما ندد بالغاصبين الظالمين، ونعى عليهم جرائمهم، وكان حرباً على المستسلمين للأجنبي الدخيل.

(٢٠٤) الجواهري، ج٣. ص٨٣- ٨٤- ٨٥. سُؤْن: فعل للذم أي نحن سيِّئون.

(٢٠٥) الجواهري، محمدمهدي، ج٣. ص٨٧. مذأبة: غابة الذئاب.

الخاتمة

توصلتا في بحثنا هذا الموسوم بـــ (السياسة في شعرالجواهري) إلى جملة من الاهداف التي سنعرضها الآن ، وهي: -

١- أصبح الشعرومنذزمن أدوات النصر والحسم والسياسة وكان هذا بمباركة الرسول الأكرام (صلى الله عليه آله وسلم لما استعان به في الحروب والموافق السياسية ثم ما لبث إن كان الأداة الإعلامية التي تنشر الوعي ومنه الوعي السياسي بين الناس ، ولا سيما منذالعصر الأموي والإلى أيام الجواهري وما بعده.

٢- والجواهري ، وكغيره من الشعراء الذين افادوا من الشعر سياسياً وإعلامياً ، وبما يملك من ناصية الإبداع ولج عالم السياسة من خلال شعره فكان مصوراً فذاً في نقل الصورة الى الأجيال الاحقة عما كان يجري في تلك الحقبة ، فجاء شعره مرآة للواقع العراقي و العربي ، بكل أبعاده ، السياسية والاقتصادية و الاجتماعية و التربوية ، وحتى الدينية و الاخلاقية.

٣- حاول الجواهري أن يؤدي الأمانة الملقاة على المثقف اوالاً وعلى الشاعر ثانياً في ان يكون سنداً و منبها للأ مة من غلفتها ، ومستنهضاً هممها ، ومجلياً كل ما خلال شعره السياسي ، كما شخص الدواء في الوقت نفسه ، وهو مواجهة النار با لنار ، ولا للحلول الترقيعية !.

٤- شارك الجواهري إخوانه العرب من خلال وعيه با لإنتماء الحقيقي ، فلم يقف مكتوف الأيدي بل حاول ان يكون نصيراً للمظلومين ولاسيما أشقاؤه العرب ، فكان اللسان الناطق بظلامتهم ، والمعري لزيف إدعاء أعدائهم.

٥- كانت لغة الجواهري كما عهدناها في كل شعره لغة جزلة ذات ألفاظ أسرة وقوية معيرة عن مكنوناتها تمتلك معاني كثيرة واضحة ، لا يعتريها الغموض.

المصادر والمراجع

- الأعرجي، محمد حسين، الجواهري دراسة و وثائق، دارالمدى للثقافة والنشرسورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
- بلاطة، عيسى، بدرشاكرالسياب، حياته والشعره، دارالنهارللنشربيروت، بيروت، م١، ١٩٧١م.
- بهاءالدين، جعفر، الإلتزام في شعرمحمد مهدي الجواهري، علي أكبر مراديان، دارالعربي بيروت، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- توفيق، عبدالكريم، الشعر العربي في العراق، بغداد مطبعة وزاره الاعلام، بغداد، ١٩٧٦ م.
- جبرا، جبرا إبراهيم، النارولجواهر، دراسات في الشعر، فلسطين، ط٢، ١٩٨٢م.
- الجبّوري، منذِر، شعراء عراقيون، الجمهورية العراقية وزارة للإعلام، ط١، العراقية، ١٩٧٧م.
- جريدة ((الشعب)) القاهرة (لسان حال الحزب الوطني المصري) في ١٩١٠/٣/٢٧م.
- الجريدة:
- الجواهري: ج ٢، الزرد: السلاسل. الشائحون: الماثلون ترفعاً. الصعر: الكبر. أقحاح: خالصة من كل شيء والقُحّ: الصافي، الأصيل، والخالص من كل شائبة.
- الجواهري، خيال محمد مهدي، الجواهري وسيمفونية الرحيل، دمشق وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م.
- الجواهري، محمد مهدى، ديوان الجواهري، ج١، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٥م.
- الجواهري، محمد مهدى، ديوان الجواهري، مطبعة الرابطة، بغداد، ط٥، ١٩٦١ م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١-٢. صيدا: المكتبة العصرية ١٩٦٧م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري: ج٢، مطبعة الغري. ديوان الجواهري، ج٣، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٠م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، مطبعة الأداب العلوق، ج١.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، ج٣، دمشق، ١٩٨١م.

- الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، منشورات وزارة الثقافة، ج٥، دمشق، ١٩٨٥م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوانه(الشعرو العاطفة)، مطبعة النجف، ج٣، ١٩٣٥م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوانه(بين الشعر والعاطفة)، مطبعة النجاح، بغداد، ج٣، ١٩٢٧م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوانه، المرتقي، المقصودهنا، التطور الحضاري، منشورات وزارة الثقافة، ج٢، دمشق، ١٩٨٤م.
- الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، ج١-٢، ط ١، دمشق: دار الرافدين، ١٩٩٨م.
- الجواهري، محمد مهدي، ذكرياتي، دارالرافدين للطباعة والنشروالتوزيع، ج١، ط١، دمشق، ١٩٨٨م.
- الجواهري، محمد مهدي، مذكراتي، ج٢، ط١، دار المنتظر بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.
- الجواهري، محمد مهدي، الجواهري في العيون من أشعاره، دار طلاس للدراسات والنشردمشق، دمشق، ١٩٨٦م. ص٤٥.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوانه (بين الشعروالعاطفة)، مطبعة النجف، النجف، ١٩٢٨م.
- الجواهري، محمدمهدي، الجواهري في العيون من أشعار، داراطلاس للدراسات والترجمة و النشر دمشق، دمشق، ط٤، ١٩٩٨م.
- الجواهري، محمدمهدي، مذكراتي، ج٢، ط١، دارالنشربيروت، لبنان، ١٩٩٩م.
- الجواهري، محمد مهدي، ديوان جواهري، ج٢.
- الحديدي، العالية، ظاهرة التمرد في الشعر العربي المعاصر، جامعة دمشق، ١٩٨٥م-١٩٨٦م. رسالة ماجستير، إشراف: فهد عكام.
- الحمداني، سالم أحمد، الآدب العربي الحديث، دارالكتب للطباعة والنشر، ط١، الموصل، ١٩٨٧ م.
- حميدي، جعفرعباس، التطورات السياسية في العراق، ساعدت جامعة بغداد على نشره مطبعة النعمان النجف، بغداد، ١٩٧٥م.
- الخياط، جلال، الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور، دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

- الخير، هانى، شاعر الكلاسيكية الفخمة، محمد مهدي الجواهري، دارالمؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.
- الدجيلي، عبد الكريم، الجواهري شاعر العربية، مجلة الأداب، بغداد، ج١، ١٩٧٢م.
- الدسُوقي، عمر، في الأدب الحديث، ملتزم الطبعة والنشردارالفكرالعربي، القاهرة، (د.ت).
- الراضي، مجلة المدى، عدد ١٩، جريدة سياسية يومية، لرياض لعام ١٤٣٨-١٤٣٩هـ... تاريخ، تراث، رؤية، ٢٠١٠م.
- رشيد، ناظم، أدب العصورالمتأخرة، الموصل مكتبة بسام، ج١، الموصل، ١٩٨٥م.
- الزياب، أحمد حسن، تاريخ الادب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
- السامرائي، ماجد أحمد، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث، دارالحرية بغداد، العراق، ١٩٨٣م.
- سعيد، جميل، تأريخ الأدب العربي الحديث، النشرو الطباعة العراقية، ط٢، العراق، ١٩٥٢م.
- السياب، بدرشاكر- ديوان بدرشاكرالسياب- مجلدان، دارالعودةبيروت، بيروت، ١٩٨٩م.
- الشايب، أحمد، تأريخ الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، مصر، ١٩٦٣ م.
- شائع، مشهور، المتالع: ج تلع، الوادي المنخفض، الديوان. أزمةُ المواطنَةِ في شعر الجواهريّ.
- الشربيني، يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر، ديوان الجواهري، من قصيدة المستنصرية، ج٥، طبعه مصر. ١٨٩٠م.
- شعبان، عبد الحسين، الجواهري جدل الشعر والحياة، دار الأدب بيروت، بيروت، ٢٠٠٩م.
- الشهيد، عدنان المالكي، ديوان الشاعر، ج١، السوءة: العورة، الحلف: المقصود هنا هو "حلف بغداد" الذي كان، في جملة الأحرار الذي يناصبونه العداء، مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٥م.

- صالح، مدني، الأدب المتكامل والشعرعند العرب، مجلة الأدب، بيروت، العدد الأول، ١٩٦٨م.
- الطاهر، علي جواد، الأعمال الشعرية الكاملة للجواهري، دارالحرية الطباعة والنشر بغداد، بغداد، ط٢، ٢٠٠١م.
- العبود، عبدالكريم توفيق، الشعر العربي في العراق، دارالحرية للطباعة بغداد، بغداد، ١٩٧٦م.
- عزالدين، يوسف، الشعر العراقي في القرن التاسع عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م.
- علم النفس وميادنيه: فريق من الباحثين ، ترجمة وجيه أسعد مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٣م.
- علوان، على عباس، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، منشورات الاعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٧٥م.
- العلوي، حسن، الجواهري، قصائد قادمة من حضارة الكوفة، نقلا عن الجواهري، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٦م.
- قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- القصاب، صبيح ناجي، الشعر بين الواقع والإبداع، وزارة الثقافة والإعلام بغداد، بغداد، ١٩٧٩م. ص١٠٦.
- القلما وي، سمير، متى ندرس شوقي، مجلة المحلة العدد ١٤٤ ديسمبر ١٩٦٨م.
- لجنة، تأريخ الأدب العربي الحديث، النشرالطباعة العراقية، العراق، ط٢، ١٩٩٣م.

- لقد كانت (المس بيل) ركيزة الحكم الرجعي بالعراق، نشرت مذكرات في لندن باللغة الإنكليزية في مجلدين بعنوان يحمل اسمها، وقد خصصت المجلد الثاني تجربة الاحتلال بدءاً من ١٩١٧م ـ١٩٢٦م، توفيت في ١٩٢٦/٧/٢١م، أسس متحفاً ١٩٢٣ وصنع لها تمثال تخليداً لذكراها، أزاله المتظاهرون في ثورة تموز ١٩٥٨م.

- المجلات:
- مجلة الاصابة، العدد (٥). ص (٣٦)، وينظر العدد (٤). ص (٣٠)، الأول من تشرين الاول.١٩٢٦م.

- محمد، جليل حسن، أثار الوثاق دراسات أدبية في شعر الجواهري، وزارة الثقافة أربيل، إربيل، ٢٠٠٨م.
- مصطفى، فائق، فن النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، عبدالرضا علي، ط ٢، دار المكتب للطباعة والنشرجامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٠م.
- مطلوب، أحمد، في الشعراء العربي الحديث، دارالشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٢م.
- معوش، سالم أحمد، الشعرالسجون، في ألأدب العربي الحديث و المعاصر، دارالنهضة العربية بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.
- نجم، محمد يوسف، ديوان جميل صدقي الزهاوي، الكلم المنظوم، جمع وتحقيق لرباعيات، الجزء الأول، ١٩٥٥م.
- النساج، سيد حامد، أدب التحدي السياسي في المغرب، دار الراي بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
- نظمي، وميض، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية في العراق، دار آفاق عربية، ط١، بغداد، ١٩٨٥م.
- نظيف، أحمد، ديوان الثبيتي، طبعة مصر، مصر، ١٩٤٠م.
- هَدارة، محمد مصطفى، بحوث في الأدب العربي الحديث، للطباعة والنشربيروت، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- اليحيى، فرحان، أزمة المواطنة في شعر الجواهري، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	**NASHMIL OMAR SHAREEF**
Doğum Yeri	**SÜLEYMANİYE/IRAK**
Doğum Tarihi	2/12/1982

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**İNSANİ GELİŞME ÜNİVERSİTESİ**
Fakülte	-
Bölüm	**ARAP DİLİ BÖLÜMÜ**

İŞ DENEYİMİ

Çalıştığı Kurum	-
Görevi/Pozisyonu	-
Tecrübe Süresi	-

İLETİŞİM

Adres	**Alsulaymaneyah / IRAK**
E-mail	**nashmel.sharef@gmail.com**
TELEFON	**009647702131424**

السيرة الذاتية

الاسم: نشميل عمر شريف

الجنسية: العراقية / السليمانية

تاريخ الميلاد: ١٩٨٢ / ١٢/ ٢

البريد الالكتروني: nashmel.sharef@gmail.com

الرقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٧٠٢١٣١٤٢٤

المؤهلات العلمية:

حصلتُ على شهادة البكالوريوس في كلية التربية في جامعة: التنمية البشرية، محافظة: السليمانية، قسم: كلية اللغة العربي، سنة ٢٠١٤م